دكتور
مصطفى غلوش
كلية أصول الدين
القاهرة

بحوث في العقيدة الإسلامية

مع

مقدمة في علم الكلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ٠ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ٠ وبعد :-

فإننا نرى من واجبنا أن نقدم بعض البحوث فى (علم التوحيد) : مصاغة بروح العصر ٠ على أن تكون وثيقة الجذور بالتراث ٠ آخذه فى الاعتبار : أن علم التوحيد نشأ فى أحضان (حلقات)علماء الاسلام ٠٠ فهو جهد (بشرى) حول (عقائد) إلٓهية ٠

وقد تبدّت الحاجة إلى " علم التوحيد " منذ أن فتحت (فارس) سنة ١٧ هـ ٠ وحاول بعض (المجوس) واليهود أن يثيروا (مشكلات) عقائدية باطلة ٠٠ فاحتاج المسلمون إلى ثقافة مدربة تمكنهم من الدفاع عن العقيدة الأسلامية أمام من : لايؤمن بأدلة (الوحى الإلٓهى)٠

ولذلك : كان لابد من التفرقة بين (التوحيد) وبين (علم التوحيد)٠
ضرورة التفرقة : بين ماهو (وحى) وبين ماهو (إجتهاد)٠

ومن هنا : قدمنا بقواعد (كلامية) تهيىء العقل لمصطلحات ومسلمات (علم التوحيد) ٠

وقد حاولت : تدبيج (دليل عقلى) فى إثبات (وجود الله تعالى)

ليساق إلى كل منكر لايؤمن بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولايقبل الدليل (النقلي) .

وعرّجت على بعض (القضايا العقائدية) التي شغلت المسلمين وغيرهم كثيراً . مبيناً : أن (إثارة) هذه المشكلات إنما جاء من خارج المحيط الإسلامي . وأن (جذورها) أجنبية ..

وأوضحت : أن العقيدة الاسلامية) تتفق مع (العقل) بلا تناقض إذ كلها تتفق مع (عقل) العقلاء . وأن مالايدركه (العقل) في الجانب (الميتافيزيقي) أو (السمعيات) . فإن العقل لاينكره ولايناقضه ..

وإذا كانت (الحرب) على (العقيدة الاسلامية) مازالت مستمرة بتهجم (حفدة) أعداء الأمس .. الذين : يكرّون علينا في : موجات متتالية بمسوح كل (عصر) ونقوش كل (مصر) ..

فإنه ينبغي على (حفدة) علماء الإسلام - أن ينضلعوا بواجب أداء (السلف) .. إقتداءً . وجهاداً في سبيل الله تعالى .

وأبتهل إلى الله تعالى : أن يحفظ (عقيدة الاسلام) . وأن يجعل (بحثي) متسقا مع (واجب) ينبغي أن يؤدى ..

ولاأدعى : أننى سقت كل ماأرجوه ٠٠٠ ! ٠٠

وإنما كل ما أدعيه : أننى أقدم هذه (الدراسة) بقلب زاخر بالإخلاص لدين الله تعالى ٠٠

وعسى الله تعالى : أن يجعله (نافعاً) وشافعاً ٠٠ وأن يكون " كلمة طيبة" في مضمار: المدفاع عن العقيدة الاسلامية ٠٠

وعلى الله قصد السبيل ٠٠

(ربنا عليك توكلنا ٠ وإليك أنبنا وإليك المصير) ٠

هذا ٠٠ وبالله التوفيق ٠ ،

دكتور

مصطفى غلوش.

كلية أصول الدين.

القاهرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل لدراسة علم التوحيد

****

تقديم :

****

سنحاول هنا أن نتعرف على (علم التوحيد) من خلال دراسة حول بعض مسائله تناسب العقلية المعاصره الراغبة فى التعرف على جوانبه وحتى نعين هذه العقلية على هذا التلقى : سنذكر شيئا من الأمور التى نراها هامة لدارس (علم التوحيد) كفن له أصوله وقواعده. محاولين التنبيه على أهمية هذا العلم بعرض : الحيثيات التى تبرز هذه الأهمية. حتى يتسنى لمن يشرح الله صدره . أن يدرك أنه بإخلاصه لعلم التوحيد . إنما يستعين به للذود عن العقيدة الإسلامية ضد مايراد بها ومايحاك حولها .

وبذلك الإدراك يعمق إيمانه : بأنه بهذا الاتصال العلمى بهذا المنهج . إنما يصل نفسه بمنهج الله تعالى .

ونحن فى عرضنا لما نريد سوغة هنا : نتردد بين (قطبى): العمق الاصالة يحكمنا فى هذا (التردد) : طبيعة (مسائل) علم التوحيد و(مناخ) المتلقى لهذه المسائل من حيث موقعه فى (نوعية) ثقافة العصر .

وهذا فرع علينا أن نذكر بعض الأمور التى تعين على الولوج فى المباحث الأصلية لعلم التوحيد .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقنا فى توصيل أمانة العلم الى طلابنا زاهية ندية نقية . كما تلقيناها من أساتذتنا الأفاضل الذين تلقوا الأمانة فحفظوها وأدوها إلينا باخلاص .

﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .﴾

١٩٨٩/١١/٣ م

دكتور

مصطفى غلوش .

كلية أصول الدين

القاهرة .

(العلاقـة بين التوحيد وعلم التوحيد)

****

نحب أن نشير ـ هنا ـ إلى الفرق بين : التوحيد ٠ وبين (علـم التوحيد) ٠

فما هو التوحيد ٠ وماهو المراد منه ٠٠ ؟٠٠

التوحيد : فى اللغة : مصدر (وحّد) تقول : وحدت الله وتقول : الله الواحد الأحد ٠ والتوحد : هو التفرد بالشيء٠

والتوحيد يراد منه حقيقة : إفراد البارى سبحانه وتعالى بالعبادة ٠ واعتقاد عدم الشريك فى الألوهية وخواصها ٠

والتوحيد بهذا المعنى : هو العقيدة الاسلامية : أى: هو (الاسلام) الذى جاء به (الوحى) المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشاع رواؤه فى القرآن الكريم ٠ حتى لقد صار من المعلوم: أن التوحيد (جوهر) رسالة الاسلام ٠

ولايخفى علينا أن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ظل طوال العهد المكى يعطى مسألة (التوحيد) ودعائمها : كل عنايته ٠ ومن خلال نص (واحد) هو القرآن الكريم ٠

بهذا يظهر لنا :

أن التوحيد كعقيدة ٠ ظهرت مع أول قطرات (الوحى) المنزل على خاتم الأنبياء ٠ وصار منهجا وقواما ٠ يرشد إلى الدلالة على (ذات الله الله الواحدة)٠ ويرشد إلى (هدم) مايضاد هذا (الوحدة) من : تعدد

وشرك ووثنية · تمثلت فى (الاصنام) و(الأوثـان) ·

فالتوحيد بذلك : هو الحق الثابت الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليهدم مايضاده من الباطل الذى من طبيعته الفناء ·

يقـول اللـه تعالى :

(وقل جاء الحق وزهق الباطل · إن الباطل كان زهوقـــا)(١)

وهذا التوحيد · يمثل أخص خصائص (التبليغ) فى(نبوة) محمد صلـى الله عليه وسلم·

ويبدو هذا من حرص القرآن الكريم على نشر التوحيد · وتثبيت القلوب حوله · فيأمر القرآن الرسول أن يقـول :

(قل هو الله أحد · الله الصمد · لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفـــوا أحد)(٢)

فالتوحيد بذلك منهج (آلهى) · ولامدخل للبشر فيه إنما طريقـه (الوحى) و (نص) ثبوتـه (القرآن الكريم) · و(المبلغ) له والداعى اليه : رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلـم ·

وبهذا المعنى هو : ضرورى لعقيدة كل مسلم · فلاتستقيم عقيدتـه إلا بالتوحيد موقعه فى مقياس الحكم أنـه (فرض عيـن)·

والتوحيد الذى تحدد معناه على هذا النحو : ليس هو (علم التوحيد) الذى نحن بصدده·

---

(١) سورة الاسراء آية ٨١

(٢) سورة الاخـــلاص

وعليه : فالتوحيد جاء به رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ٠

أما **(علم التوحيد)** فلم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالصورة التيهو عليه بين أيدينا الآن ٠

كيف تكوّن علم التوحيد ؟٠٠

عندما تلاقى المسلمون مع غيرهم ٠٠ تكونت بعض المسائل حول العقيدة وكان السبب فى تكونها :-

وجود من يلقى الشبهات حول **(صفاء العقيدة)** بغرض **(زعزعة)** العقيدة الاسلامية فى النفوس٠

وبجانب هذا : وجد فى المسلمين من العقول من تصدى لهؤلاء الذين يلقون **(الشبهات)** ٠٠ فردوا على**(الشبه)** وأفحموا هؤلاء (الملقين)٠ بالحجج٠

ونستطيع القول :

بأن **(مسائل علم التوحيد)** بدأت فى تكوينها بعدما سكتت **(الحرب العسكرية)** بين الاسلام وأعدائه وأثمرت الفتوحات الاسلامية ٠ نصرا عسكريا موءزرا لجند المسلمين٠ فقامت **(دولة إسلامية قوية)** وبالتالى لقى أعداء الإسلام قهرا عسكريا وهزيمة ٠ ودالت دولتهم أو ضعفت بسبب النشاط الاسلامى ٠

وتسرب اليأس إلى نفوس أعداء الإسلام من جدوى الانتصار على الاسلام عسكريا ٠ فقد كفل الحماية لدولة الاسلام فى هذا المجال : الجيش القوى

وفى الجانب الاقتصادى : كفل النظام الاقتصادى بما فيه من عدالـــة وتكافل برزت فى معنى : الزكاة وغيرها : الاستقرار والحماية للنظـــام الإسلامى ٠

ولما كان الإسلام قد هزم قوما ٠ كانوا أهل حضارة وعقائد ٠ ولم يكونوا فى (سذاجة) الجماعات الأولى ٠ فإننا نتوقع أن يكون الكيد للاســـلام متسما بالخبث والدهاء ٠

الحرب العقائديـــة :

إتجه أعداء الاسلام إلى الكيد للأساس الأصيل فى وجوده وهو (العقيدة) ففتحوا (جبهة) للحرب ٠ لم تكن موجودة قبلا ٠ وهى : الحرب العقائدية٠

ونحب أن نشير هنا إلى أنهـم :

لم يكن لديهم (عقيدة) أخرى ٠ يقدمونها فى مقابل (المصارعـــة) مع (عقيدة التوحيد)٠

وإنما تجلى عملهم فى : إلقاء الشبهات التى تستهدف النيل مـــن (التوحيد) الإسلامــى٠

وهى (شبهات) عامة لايمكن أن تستقيم أمام النظر العلمى٠ أو وضـوح الحق فى عقيدة الإسلام٠

ولكن (المجادلين) فى كل العصور ٠ يحاولون أن يلقوا الشبهـــات آملين أنها إذا لم تحدث (فرقة) فى الصفوف٠ فانه سوف (تكـــدر) الصفاء العقائدى٠

والطريف أن هذا الصنف من الناس - منذ أن رادهم (**إبليس**) في (**الجدال**) • حينما (**فرّع**) على الله تعالى• فقال : "**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**"• - لايعجز عن إلقاء الشبه وتكدير الصفو • رغم تأكده أن هذا واضح البطلان • وقد حرضهم على السير على هذا المنهج الأمل في أن يلتقط (**متعجل**) أو (قليل الفهم) ظاهر دعواهم•

علـم التوحيـد

******

حاولنا أن نوضح معنى (التوحيد) • وهنا نحاول أن نوضح المراد من (علم التوحيد) كفن او مصطلح يمثل جهود العلماء فى الاستدلال العقلى والنقلى فى مجال العقيدة الاسلامية •

أولا : مقصود علم التوحيد :

****

ومقصود (علم التوحيد) كما قصده علماؤه :

أن يحافظ على مسائل العقيدة فى الجدل والباطل المراد بها •

ويصور الإمام الغزالى فى (**المنقذ من الضلال**) هذا المقصود • فيقول:

(وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله : عقيدة هى الحق على مافيها من صلاح دينهم ودنياهم • كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار • ثم ألقى الشيطان فى وساوس المبتدعة : أموراً مخالفة للسنة فلهجوا بها • وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها • فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين - علماء التوحيد - وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب • يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله)•

ثانيا : غاية علم التوحيد :-

*****

وبذلك نفهم أن (غاية) علم التوحيد هى :

أن يقتدر الانسان على الوفاء بأمر واجب عليه • وهذا الواجب عليه هو :

١) معرفة الله تعالى ٠ المعرفة التى تليق بمقام الألوهية ٠ وعلى النحو الذى ورد فى (**الوحى**) الذى جاء نا بطريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأيضا معرفة مايجب لله تعالى ومايستحيل فى حقه من الصفات (١)

٢) ومعرفة العقيدة الصادقة اليقينية فى مجال (**النبوات**)٠ وكيف نصدق بالرسل : ومامعنى التصديق ٠ وكيف تطمئن القلوب الى أنهم من عند الله حقا ٠ وأيضا : معرفة مايجب ومايجوز ومايستحيل فى حق الأنبياء والرسل ٠

٣) ومعرفة مافى الدار الآخرة من أمور لايدركها العقل بأقيسته أو أخيلته٠ إذ العقل لايستطيع أن يتجاوز حدوده والتى تدور حول المدركات التى يحصلها الإنسان بأحد (**وسائل المعرفة**) حسية كانت أو عقلية٠٠

ومما لاشك أن فكرة البعث والحشر والنشر وغيرها٠٠ كلها لاتدخل فى نطاق الحس أو العقل ٠٠ وإن كانت لاتصادم العقل أو غيره٠٠ بل تستمد يقينها الصادق من إخبار الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وسلم٠

وهذه (**المعارف**) هى (**غاية**) علم التوحيد

---

١) ورد فى إصطلاح علماء التوحيد عبارة (معرفة الله) وهم لايقصدون منها (معرفة ذاته تعالى) فهذا أمر مستحيل ويناقض التنزيه المطلق الواجب لله تعالى ٠ وإنما مراد العلماء : معرفة صفاته تعالى بقدر الطاقة البشرية٠

ثالثا : تعريف علم التوحيد :
****

تعرض العلماء لتعريف علم التوحيد . فكثرت عباراتهم ... ولايظن أن كثرة التعاريف . واختلاف العبارة . تدل على : تناقض في الفكرة عن (علم التوحيد) .

وإنما تعني - في المقام الأول - حرية الفكر والنظر العلمي عند علماء المسلمين . وتعني : أن العلم نشأ في أحضان عقول العلماء . ومن (قرائح) فهمهم .

وتعني : أن النظرة إلى العلم قد تختلف في مجال التعريف والتوصيف باختلاف (الناظر) . فمن نظر إلى منهج العلم كان له (التعريف) الذي يصدر عن نظرته . ومن نظر إلى (وظيفة) العلم. كان له (تعريفه) ومن نظر إلى (مسائلة) كان له تعريف. أو إلى (نشأته) كان له تعريف.. إلخ.

ولما كانت التعاريف قد ازداد عددها . وأغلبها نبعت من الجوانب الإضافية التي أشرنا اليها .

فإننا هنا في مجال تعريف (علم التوحيد) سنذكر :(أقدم) تعريف وصلنا في كتب العلماء القدماء . وأيضا : سنذكر (أحدث) تعريف وصلنا . حتى يمكننا الحكم على معنى (علم التوحيد) . ذاكرين بعض التعاريف (التوسطية) لندرك أن الاختلاف في العبارة . ليس اختلافا حول (حقيقة) العلم نفسه.

أ) تعريف الفارابي : ت ٣٣٩ هـ

يقول أبو نصر الفارابي في معرض تعريفه لعلم التوحيد :

(وصناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل)٠

وهذا التعريف يلمح منه أن (الفارابي) قد نظر الى(نتيج العلم) وهو يعرفه٠

وقد ذكر الشيخ مصطفى عبده عبد الرازق : أن هذا التعريف هو أقدم التعاريف التي وصلتنا [(١)]

ب) تعريف إبن حيان التوحيدي: ت ٤٠٠

يعرف أبو حيان التوحيدي علم التوحيد ـ الكلام ـ فيقول :ـ

(وأما علم الكلام٠ فإنه باب من الاعتبار في أصول الدين، يدور النظر فيه على محض العقل في التحسين والتقبيح والإحالة والتصحيح والإيجاب والتجويز والاقتدار والتعديل والتجويز والتوحيد والتكفير ٠٠)٠

ويظهر لنا من عبارة أبي حيان : أنه نظر الى (المسائل وتنوعها وهو يعرّف علم التوحيد ٠

ج) تعريف إبن خلدون : ت ٨٠٨ هـ

يعرف ابن خلدون في (مقدمته) علم التوحيد ـ الكلام ـ فيقول:

---

(١) راجع ص٢٥٣ من ك (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية)٠

(علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج بين العقائد - عقائد الإيمان - بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات من مذهب السلف وأهل السنة).

ويلاحظ مدى التشابه بين فكرة (ابن خلدون) عن علم التوحيد وفكرة (الغزالى) عنه .

د) تعريف صاحب المواقف : ت ٧٥٦ هـ .

يقول عضد الدين الايجى ، صاحب كتاب (المواقف) فى صدد تعريف علم التوحيد ومعه شارحه :-

(والكلام يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية ، بإيراد الحجج ودفع الشبه ، والمراد بالعقائد مايقصد به نفس الاعتقاد دون العمل ، وبالدينية : المنسوبة الى دين محمد عليه الصلاة - والسلام ، فان الخصم ، وإن خطأناه - لانخرجه من علماء الكلام).

ولعله يتضح لنا هنا (عمومية) هذا التعريف ، وأن (الايجى) جعل علم الكلام ، أدة (دفاع) لكل معتقد عن عقيدته ، لأنه يرى أن المبتدع الذى يسوق (بدعته) إنما يعرضها فى قالب (استدلالى) ويبرهن عليها .

وهذا (مسلك كلامى) عند (عضد الدين الايجى).

ونحن - هنا - لانتفق مع (الإيجى) ، ولانقره على العمومية الشديدة التى أعتبرها ، إذ أنه بذلك يدخل فى علم الكلام

- التوحيد - ماليس منه وهو المخالف لمسائل علم الكلام الاسلامي .

وقد تدعوا (عمومية) الإيجي . إلى : أن يختلط الأمر على بعض العقول . فتقبل دون موازنة أو نقد .

هـ) تعريف صاحب المقاصد : ت ٧٩٢ هـ

عرف سعد الدين التفتازاني . صاحب كتاب (لمقاصد) علم الكلام . قال :

(الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية) .

ويلاحظ أنه أعتبر هنا : عقائد الدين اليقينية . وهي عقيدة الإسلام ولم يلحظ غيرها . فلا اعتبار لديه الا للمسائل التي تدور حول (يقين) عقيدة الاسلام .

وهذا منه (مخالفة) لمنهج أستاذه (صاحب المواقف) وموافقة لمنهج (الغزالي) في المراد من علم التوحيد . وإن كان بينهما ثمة فرق : فهو في أن (السعد) يرى تحصيل علم التوحيد والعقائد بالدليل العقلي . بينما (الغزالي) يرى أن العقل محدود المنهج في هذا المضمار .

وقد توسع الغزالي في اعتبار (الإشراق) على نحو يصعب تفصيله في هذه (الدراسة) .

وقد شاع تعريف صاحب المقاصد حتى وجدناه عند كثير من العلماء وقد ارتضاه صاحب الجوهرة حيث قال :

(وحدّوه - أي عرفوا علم التوحيد - بأنه علم يقتدر به على إثبات

العقائد الدينية على الغير وإلزامها • بإيراد الحجج ودفع الشبه)[1]

و) تعريف الشيخ محمد عبده : ت ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥م)•

ذكر الشيخ محمد عبده تعريفا لعلم التوحيد • فقال عنه هو :

(علم يبحث فيه عن وجود الله - تعالى - ومايجب أن يثبت له من صفات • ومايجوز أن يوصف به • ومايجب أن ينفى عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم • ومايجب أن يكونوا عليه ومايجوز أن ينسب إليهم ومايمتنع أن يلحق بهم)[2]

تعقيب :
****

رأينا كيف دارت التعاريف على أن علم التوحيد هو العلم الذى نشأ حول العقيدة الإسلامية • ويعنى بمسائلها إثباتا ونفيا • ودفاعا أو تقبلا • وأنه مهما اختلفت العبارة فان روح العلم سارية فى جميع التعاريف •

وعليه : فلا مجال لتصور التدابر بين العبارات•

أسماء علم التوحيد :

من المفيد هنا : أن نذكر أن علماء هذا العلم الذى عرفناه قد سموه بأسماء مختلفة كلها تدل على مدى عنايتهم بهذا العلم وتقديرهم لدوره

---

(١) راجع ص٢٥ من حاشية الأمير نشر دار الكتب العربية •
(٢) راجع ص٨ من ك (سالة التوحيد) •

في مجال إثبات العقيدة الإسلامية • وهي كلها تقع على (مسمى) واحد فان اختلف (الاسم) لايعني الإختلاف في (المسمى)•

وقد جمع التهانوي صاحب (**كشاف اصطلاحات الفنون**) أسماء هذا العلم فقال :

(**علم الكلام يسمى** : بأصول الدين • وسماه : أبو حنيفة رحمة الله تعالى : بالفقه الأكبر ••• ويسمى : بعلم النظر والاستدلال أيضا • ويسمى أيضا : بعلم التوحيد والصفات • وفي (**شرح العقائد**) للتفتازاني : العلم المتعلق بالأحكام الفرعية أي العملية • يسمى (**علم الشرائع والأحكام**) • وبالأحكام الأصلية أي : الاعتقادية ويسمى : علم التوحيد والصفات)

وقد راج لدى كل متعلق بأحد هذه الأسماء السبب الذى رجح لديه إختيار هذا الاسم • وكلها (تعليلات) للاختيار • ولاعلاقة لها بجوهر العلم • أو مسائله ••

الفرق بين علم التوحيد والفلسفة :

رأينا كيف يتخذ علم التوحيد (**الاستدلال**) منهجا لإثبات قضاياه ومسائله وتوصلا به إلى (**اليقين**)•

وهذا المنهج (الاستدلالي) نراه في (الفلسفة)•

فهل ثمة فرق بين (الفلسفة) و (علم التوحيد) ••؟ خاصة وقد رأينا : أن كتب المتأخرين في علماء الكلام• مثل : المواقف والمقاصد •• وغيرهما•• قد اختلط فيها علم الكلام بالفلسفة • مماقد يصعّب (مهمة)

التمييز بينهما ، على بعض من ينظر فى هذه الكتب.

ومما لا شك فيه : أن هناك فرقا هاما بين (**علم التوحيد**) وبين (**الفلسفة**) . نستطيع أن نبرزه إذا حاولنا توضيح منهج كليهما في النظر والاستدلال .

أولا : منهج علم التوحيد فى الاستدلال :

***

إن المتكلم فى (**علم التوحيد**) يستدل على (**قضية**) لا ليصل إلى الحق واليقين . فإن (اليقين) قد وصله قبل استدلاله عن طريق (نصوص) الوحي من خلال : القرآن الكريم . والسنة النبوية التى جاء بها المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم.

ولكنه : يستدل ليمد هذا الحق ويعضد هذا اليقين بدليل (عقلى) وبرهان منطقى . يضم إلى دليل صدقه يقينه . الذى انبعث من صدق ويقين الدليل (النقلى) . وبذلك : (فنتيجة الحكم) واضحة فى ذهن (المتكلم) المستدل . وإنما منهجه ينحصر فى اتخاذ البراهين والأدلة العقلية . لإثبات هذه (النتيجة) . ليتآزر (النقل) مع (العقل) . حتى ما إذا وصل إلى (الحق) نفسه . بطريق النظر والاستدلال ازداد يقينا واطمئنانا .

ويحرضه على هذا المنهج قول سيدنا ابراهيم عليه السلام فى الجواب عندما سئل من الله تعالى : (**أولم تؤمن . قال : بلى . ولكن ليطمئن قلبى ..**). **فطلب** الطمآنينة بتضافر الأدلة : مطلب عقائدى .

ونحب أن ننبه هنا الى أن : المتكلم إذا لم يصل ببرهانه واستدلاله العقلى . وتعثر معه (إنتاج) قضاياه . فلم يعط نفس النتيجة التى معه

من النقل - الوحى - اتهم أدلته . وتلمس سبب الخطأ فى براهينه ومناهج تفكيره ودليله فى هذا الاتهام وهذا التلمس : ثقته الكاملة فى النتيجة التى جاءته عن طريق الوحى الإلهى الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه .

ويعاود المتكلم النظر والبحث مرة أخرى .. وهكذا .. حتى يصل الى (الحق) و(اليقين) بطريق العقل . ويتفق مع ماعنده بطريق النقل .

ثانيا : منهج الفلسفة فى الاستدلال :

معلوم أن منهج الفيلسوف فى الاستدلال على (قضاياه) هو : العقل وحده . وهذا المنهج فى مجال الفلسفة الإلهية لايستطيع أن يحيط بالمجال الذى يروم الاستدلال عليه . لأنه منهج يرتبط بالعقل . وللعقل روابط وموروثات : الحس والواقع المادى . وهذا : يمد الفيلسوف (بمادة) الاستدلال والتى قد تجره إلى : الخطأ والتناقض فى مجال (الإلهيات)

وفى هذا المنهج تنعدم الثقة فى (النتيجة) التى يصل اليها بالدليل العقلى . دون موءازرة (الوحى) لهذه النتيجة .

ويكفى أن نعلم لبيان هذا : أنه كثيرا ماوصل الفيلسوف الى (نتيجة) ما . وفرح بها . واطمأن اليها متحسبا الحق فيها . وسرعان مايكتشف هو . أو يكشف له . أنه قد أخطأ فى (مقدماته) دون أن يدرك موضع هذا الخطأ .

الموازنة بينهما :

ويمكننا أن نوازن بين منهج كليهما . ليتضح مدى الفرق بين منهج

المتكلم ومنهج الفيلسوف . بعبارة مشهوره تقول : (**الفيلسوف يستدل ثم يعتقد .. والمتكلم يعتقد ثم يستدل**).

على معنى : أن الفيلسوف يفكر بعقله فى وجود الله تعالى - مثلا - ويظل ينتقل فى استدلاله وتفكيره من (مقدمة) إلى(مقدمة) ومن نتيجة إلى(أخرى). وقد يصل بهذا الانتقال الى : الاعتراف بوجود الله تعالى أو قد يصل الى : إنكار وجوده تعالى . وهو فى الإثبات والإنكار .. تابع لعقله فى الصواب والخطأ.

أما المتكلم : فإن عقيدته الدينية تخبره بوجود الله تعالى .. فيؤمن بهذه القضية . ويظل يعمل فكره وعقله حتى يصطنع (الأدلة والبراهين) التى يرضى عنها عقله . فيطمئن قلبه . باتساق العقل مع النقل . أوليقدمها إلى الذين يبغون الاستدلال العقلى إبتداء على العقائد . ثم بعد ذلك يقبلون على ماجاء من طريق (الوحى) لشرح أو توضيح ماوصلهم بطريق البرهان العقلى.

وفى بيان الفرق بين الفلسفة وعلم التوحيد . يقول التفتازانى صاحب المقاصد :

(إعلم أن للانسان قوة نظرية . كمالها : معرفة الحقائق كماهى. وعملية . كمالها : القيام بالأمور على ماينبغى تحصيلا لسعادة الدارين. وقد تطابقت الملة - الدين - والفلسفة على الاعتناء بتكميل النفوس البشرية فى القوتين وتسهيل طريق الوصول الى الغايتين - معرفة الحقائق والقيام بالأمور - الا أن نظر العقل يتبع فى الملة - الدين - هداه. وفى

الفلسفة هواه)٠ (١)

وهكذا يتضح لنا :

أن طريق المتكلم يبدأ من الوحى ٠ وينتهى اليه٠٠ وأما الفيلسوف فانه يبدأ من (عقله) ولايعلم إلاّم ينتهى٠٠ فالسلامة فى المجال العقائدى الإلهى : فى منهج علم التوحيد ٠

نشأة علم التوحيد :
****

علم أن (علم التوحيد) بمعناه الاصطلاحى ٠ لم ينشأ على (صورته) التى بين أيدينا الآن ٠ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ لأن العقيدة الاسلامية تستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية ٠ وكان المسلمون فى الرسول صلى الله عليه وسلم يرجعون إليه فى تقرير العقائد ٠

ونستطيع هنا أن نقول إنه برز أن لعلم التوحيد إطلاقان :

١) ماجاء به الإسلام وقرره القرآن الكريم والسنة٠

وهذا هو الإطلاق الأول٠

٢) أما الإطلاق الثانى : فإنه على العلم المدون فى الكتب ويقتدر به على إثبات العقائد الدينية ٠ ودفع الشبه ٠ ورد المبتدعة ٠٠ الخ٠٠

وعليه : فإن علم التوحيد بالإطلاق الأول - الشرعى - ليس (ناشئا) أو (دخيلا) على الإسلام بل هو هو فلم يستجد ولم يستحدث فى المحيط الاسلامى٠ منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم٠ وقد عبرنا عنه بالتوجيد من قبل ٠

---

(١) راجع ص٤ ج١ من ك المقاصد

واما علم الكلام بالإطلاق الاصطلاحي ٠ فلم يكن موجودا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ ولافى عهد الصحابة رضوان الله عليهم ٠

ونجد من يذكر فى مقام التعليل لسبب عدم الوجود هنا ٠ فيقرر أن السبب يرجع الى عدم حاجة المسلمين الى مثل هذا العلم فى ذلك الوقت(١)

وهنا يثار سؤال :

كيف كانت الاستدلالات تجرى على العقائد الدينية فى هذا العصر ٠٠؟

ويمكن ان نحصر الجواب عن (غيبة) علم التوحيد فيما يأتى :-

١- الاستدلال على العقيدة فى عهد الرسول :

إن الدفاع عن (العقيدة) مسئولية يحملها كل من اعتقد فكراً أومبدأً أودينا ٠ وقد لوحظ ذلك فى كل العصور والعقائد ٠ كما لوحظ أن الاختلاف فى الآراء والمعتقدات بين الناس ٠ أمر لابد منه ٠ يقول الله تعالى :

(ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة)٠ - النحل ٩٣ -

وهذا يجعلنا لاندهش عندما نجد افتراق الناس الى : فرق وأحزاب وشيع رغم إرسال الرسل والأنبياء ٠

وإن نظرة واحدة إلى (الكتب) التى عقدت لبيان تاريخ (الفرق) تعطينا هذه الصورة٠

ولذلك : كان الدفاع عن العقيدة فى كل عصر ومكان٠٠ ولكنه قلما

---

(١) راجع ص١٨ من ك (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده

اتجه إلى (التدليل العقلى) بل كان المنهج هو : الاعتماد على أصول الوحى ومناهجه الواضحة. والتى تمثلت فى التغيير العقائدى الذى أحدثه الإسلام فى مجال العقيدة . فقد أزالت (الوحدانية) التى جاء بها الإسلام : التعدد والشرك . وقضت فكرة (الألوهية) الخالصة على : الوثنية. ومحق (التنزيه) الذى جاء به القرآن الكريم. والذى يقرر أنه تعالى (ليس كمثله شيء) : كل ماكان يعرفه الإنسان من أوثان وأنصاب وأصنام.

وقد تلقف المسلمون هذه المعانى بإخلاص . وانشغلوا بنشرها ومكافحة أعدائها .

وقد ظهر أن الناس - كماهم دوماً - نوعان :-

الأول : مقبل على العقيدة والدين . لائذ به ناشر لدعوته.

الثاني: مدبر عنه . معاند و مكابر ومكذب . وكم صاغ هؤلاء للرسول صلى الله عليه وسلم المشكلات تلو المشكلات قاصدين - فى زعمهم - إحراج الوحى . الذى كان ينزل . فيرد عليهم - فيحجون ويسلمون أو يسلّمون.

وقد واجه الرسول صلى الله عليه وسلم : أصحاب العناد من المشركين ومن ظاهرهم من (أهل الكتاب) . كما واجه (أسئلة) المسلمين الباحثين عن الحق والصواب .

وقد لوحظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . لم يدخل معهم فى منهجهم من العناد والمراء . وإنما أدخلهم فى (منهجه) هو . والذى

يقوم على : التصويب والتقويم ولفت أنظارهم الى ماهو أهم ٠٠ وإلى آلاء الله تعالى ٠ وإلى مناهج الأدلة العقلية الفطرية ٠

وتجدر بنا الإشارة الى شيء هام ٠ وهو :

أن المواجهة التى عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسائل العقائدية ٠ قد تناولت أدق مسائل العقيدة ٠ مثل (توحيد الذات - والصفات - القدر - الروح - الملائكة - الجنة والنار - النبوات - المعجزات البعث - الإيمان - والإسلام - موقف الإسلام من الرسالات السابقة٠٠٠ الخ)

وقد خاض رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه (المعارك) بتوجيه قرآنى ٠ يقول الله تعالى :(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ويقول تعالى :(ولاتجادلوا اهل الكتاب الابالتى هى أحسن)٠

وهكذا وجد الجدل والنقاش منذ بكور الدعوة الإسلامية ٠ وهذا يدلنا على : مدى وجود الـ[illegible] بين الآراء والحجج ٠ ويلقى ظلالا على كفاح رسول الله صلى الله [illegible] وسلم ٠ ودفاعه عن العقيدة الإسلامية ٠ بجانب (دعوته) للناس للإيمان بها ٠

وهذا كله كان (بذرة) لشجرة (بسقت) فيما بعد وعرفت باسم : (علم التوحيد) ٠ فقد كان للقرآن الكريم : تأثير فى توجيه الفكر ٠ وفهم مراميه ٠ وإزالة ماقد يكون به من غموض وإبهام ٠ إذ أن القرآن الكريم لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ٠ يقول الله تعالى :(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ٠(النساء٨٣)

٢ـ الاستدلال على العقيدة فى عصر الصحابة :

ذكر الشهرستانى : أنه لم ينشأ خلاف حول العقيدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم [(١)] الا أنه لوحظ فى هذا العصر بوادر انبعـــاث روح (التعقل لمسائل العقيدة) [(٢)]

ولكن بمقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه : فتحت أبواب الفتن علـــى الجو الإسلامى • وشعر عامة المسلمين أن : شهوات قد تلاعبت بالعقول [(٣)]

وفى عصر سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه • برزت الإضطرابات والفتن بصورة أوسع وأشمل • ويكفى أن نذكر (الحروب) التى جرت فى عصره و(التحكيم) ومشكلة (الخوارج) وكيف نشأوا • وظهور (المرجئة)• ومولد (الشيعة) • وطفو(الغلاة) على السطح ••• الى آخر هذه الأمور التـــى ظهرت على الجو الاسلامى • وظننا أن هذا كله كان (كامناً) فى المحيـط الإسلامى• ونقل بهدوء وسرية بقصد الكيد للاسلام عن طريق عناصر تضمـر الحقد على الإسلام

والذى يعينا هنـا من الإشارة إلى هذه الأمور السياسيـة :

أن مسالة (الخلافة) و(مشكلة التحكيم) قد أثمرتا(مسائل كلاميـــــة) متصلة بالعقيدة•

---

(١) راجع ص٢٢ ج١ من ك (الملل والنحل) تحقيق الدكتور محمد بدران
(٢) راجع ص٣٨٣ من مخطوط (المدرسة السلفية) للدكتور محمد نصـر
(٣) راجع ص٣١ من ك(رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده•

فالخوارج : كفروا مرتكب الكبيرة عندما اعتقدوا فى (الأمويين) ارتكاب الكبائر ورد (الأمويون) بالآيات القرآنية التى تدعوا إلى (الجبر) وعمقوا فكرة (الجبر) فى المحيط الاسلامى • محاولين الخلوص الى نتيجة تقول :إن حكم الأمويين بقضاء الله وقدره وبإرادته وأن مخالفهم• مخالف للمشيئة الإلهية•

بل إن من الباحثين من يرى أن مقتل (الجعد بن درهم) و(جهم بن صفوان) • وهما من أبرز أصحاب (المقالات) فى القدر • على النحو الذى يخالف مايريده (الأمويون) فيقال أن سبب مقتلهم يرجع الى أن هذه (المقالة) تناهض (سياسيا) مايقصده (الأمويون)من بث فكرة(الجبر) فى المحيط الإسلامى•

وهكذا كان التناحر فى العقيدة منذ عصر الصحابة ومن بعدهم وبدت الصورة : كتلا وأحزابا وفرقا وشيعاً•

وكان هذا كله من أهم أسباب نشأة (علم الكلام) وتطوره بسرعة مذهلة جعلت بعض العلماء المسلمين يرونه مصدر (التفرقة) • وليس أداة للدفاع عن الاسلام • أو الاستدلال على مسائله (١)

---

(١) راجع ص٢٩٠ من ك (تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية) للشيخ مصطفى عبد الرازق•

موقف العلماء من تطور علم التوحيد :

بعدما حدث الصراع فى الجو الإسلامى ٠ ودخل فى العقيدة : إعتقد كل فريق ٠ مارآه لديه حقا ٠ فدخل بذلك (طوراً) لم يكن من قبل وزاد (تطوراً) عندما حاول كل (فريق) و (حزب) أن يجد سنداً لمعتقده من العقيدة الإسلامية (القرآن والسنة) ٠ وأيضا : يحاول تضليل (مخالفه) فى الرأى ٠

بعدما وُجد هذا : وجدنا آراء العلماء التى تحرّم الاشتغال بعلم الكلام٠ ورُويت النصوص المؤيدة لذلك ٠٠ ووجدنا : آراء - أخرى - تُحبّذ وتحض على الاشتغال بهذا العلم الجليل الذى يخدم العقيدة٠

أولا : آراء المانعين :

***

١- رأى الإمام مالك : ت ١٧٩ هـ

كان **الإمام** (مالك) رضى الله عنه ٠ ممن يحرم الإشتغال بعلم الكلام - التوحيد بالمعنى الاصطلاحى - فقد كان يعيب المراء والجدل فى الدين٠

وكان يقول :(إياكم والبدع ٠ قيل ياأبا عبد الله : وماالبدع ٠٠؟٠٠ قال : أهل البدع ٠ الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة ٠ والتابعون بإحسان) وكان الإمام مالك٠ إذا أتاه بعض أهل الأهواء قال له :(أما أنا فعلى بينة من دينى ٠ وأما أنت فشاكّ٠ فأذهب إلى شاكّ مثلك فخاصمه)٠

والإمام مالك يضع الاشتغال بعلم الكلام فى مرتبة :(إرتكاب الكبائر) وموقفه من (عمرو بن عبيد) المعتزلى ٠ وقد طعن فيه ولعنه ٠ يوضح موقف

(١) راجع ص٢٩٠ من ك (تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية) للشيخ مصطفى عبد الرازق٠

الإمام مالك (عمليا) فى الاشتغال بالجدل والمراء حول مسائل العقيدة الإسلامية ٠

٢- رأى الإمام الشافعى : ت ٢٠٤هـ

والإمام الشافعى رضى الله عنه بالرغم من أنه اشتغل (فترة) فى علم الكلام ويوجد (مخطوط) بالمكتبات فى علم الكلام منسوب إلى الإمام الشافعى وإن كان يحتاج إلى من (يُحقّق) نسبة هذا المخطوط إليه من الباحثين٠

وقد ورد أنه ناقش (بشر المريسى) وهو من أهل الأهواء فى مجلس الخليفة العباسى (هارون الرشيد) وقد استعمل معه (الشافعى) فى المجادلة مناهج (علم الكلام) فى إثبات دلائل النبوة والتوحيد ٠

أقول : بالرغم من هذا كله ٠ فقد ورد عن (الشافعى) منع الاشتغال بعلم التوحيد ٠

وقد ذكر الإمام (البياضى) فى صدد ، توجيه منع الإمام الشافعى حكم التجويز : أن نهى الشافعى ينصب حول الذى يقصد الاشتغال بعلم الكلام متخذاً العقل وحدة دليل تفكيره ٠ هاجراً بهذا المنهج (المنقول) فيبعد بذلك عن (نصوص الوحى) بدل أن (يقترب) منها ٠ (١)

ثانيا : آراء المجوزين :

****

١- رأى الحسن البصرى : ت ٩٥ هـ

أجاز الحسن البصرى الاشتغال بعلم الكلام٠ بل إنه حرض عليه وحث على

(١) راجع ص٢٤ من ك (اشارات المرام) للإمام البياضى

الاشتغال به فى (الرسالة) التى أرسلها إلى الخليفة (عبد الملك بن مروان) وكانت تتعلق بموضوع (القضاء والقدر).

ومما قاله البصرى فى هذه الرسالة :-

(لم يكن أحد من السلف يذكر ذلك ولايجادل فيه. لأنهم كانوا على أمر واحد وإنما أحدثنا - أوجدنا - الكلام فيه . لمّا أحدث الناس النكرة له . فلما أحدث المحدَثون فى دينهم ماأحدثوه . أحدث الله للمتمسكين بكتابه مايبطلون به المحدثات . ويحذرون به من المهلكات).[1]

وهكذا نرى السبب الذى حمل الحسن البصرى على القول بتجويز الاشتغال بعلم الكلام بل إنه يعتقد أن المشتغل بعلم الكلام (مندوب) من الله تعالى للتضلع بهذه المهمة.

٢- الإمام أبو حنيفة :ت١٥٠هـ

عاش (أبوحنيفة) فى الجو الذى عاصر تكوّن وتطور (علم الكلام) فأسهم (أبو حنيفة) فيه بسهم وافر . وأدلى بدلوه فى علم الكلام. مشتغلا به ومؤلفا فيه - فلم يقف عند حد التجويز . بل انطلق إلى حد (التحبيذ)

يقول أبو حنيفة : (إن الرجل إذا كف لسانه عن الكلام فيما اختلف فيه الناس . وقد سمع ذلك . لم يطق أن يكف قلبه ...)[2]

---

(١) راجع ص١٢ من ك (المنية والأمل) لابن المرتضى .

(٢) راجع ص ٨ من ك (العالم والمتعلم) لأبى حنيفة تحقيق زاهد الكوثرى.

وينقل البياضي عن أبي حنيفة قوله في كتابة (الفقه الأكبر) من أنـــه
اذا (أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد ، فإنه : ينبغي عليه أن يعتقد في الحال ماهو الصواب عند الله ، إلى أن يجد عالما فيسأله ولايسعه تأخير الطلب ولايعذر بالتوقف)(١)

ويزيد الإمام أبو حنيفة في هذا المجال ، فيؤكد متسائلا : كيف يكون البحث عن الحجة محظورا ، والله تعالى يقول : (قل هاتوا برهانكم)، ، ويقول سبحانه (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة)،

ويستشهد أبو حنيفة على : جواز الاشتغال بعلم الكلام بعمل الصحابة من خلال : جدال سيدنا علي بن أبي طالب لفرقة (الخوارج)، ويرى أبو حنيفة : أن هذا الجدال أثر من آثار (السلف)(٢) ويعتبره (فتوى)سلفية .

هل رجع أبو حنيفة عن فتواه ؟ ..

بعدما طالعتنا النصوص التي تدل على أن أبا حنيفة (يفتي) بحل الاشتغال بعلم التوحيد ، وهي نصوص نثق في سندها ونسبتها الى (أبي حنيفة)،

أقول : بعد هذه المطالعة : وجدنا أن هناك موقفين قد يدلان على أن أبا حنيفة رحمة الله تعالى قد (عدل) عن فتواه التي يجيز بها الاشتغال بعلم الكلام.

الموقف الأول : أن (أبا حنيفة) بعدما اشتغل بعلم الكلام فترة من الزمن، تركه، وأكب على دراسة (الفقه).

---

(١) راجع ص١٠٥ من ك (إشارات المرام في عبارات الإمام) للبياضي نشر الحلبي.

(٢) راجع ص١٠ من ك (العالم والمتعلم) لأبي حنيفة ، تحقيق زاهد الكوثري.

الموقف الثاني : روى عن (أبي حنيفة) أنه نهى ولده (حماداً) عن الاشتغال بعلم الكلام وأن يترك (المناظرة) فيه.

وهذان الموقفان : تتطلبا تحقيق موقف أبي حنيفة في هذا الموضوع.

تحقيق الموقف الأول :

ويمكننا القول فيما يتعلق بموقف (الترك) إلى (الفقه) : أن أبا حنيفة وجد علم الكلام الذي (يرتضيه) الإسلام. مؤسسا على القرآن الكريم. والسنة النبوية.

ولذلك : فلا مجال للجدال فيه .. فاشتغل به. حتى دوّنه وألف فيه كتباً كلامية متعددة. ولم يترك (علم الكلام) حتى اطمأن إلى : تدوينه لمذهب أهل السنة والجماعة. كما أخبر عنه بنفسه.

ولما وجد لديه (ملكة) الاستنباط والتعليل. وأنه ليس مجالها (العقائد) .. قصد وضع (ملكة) موضعها فتحول إلى (الفقه). حيث هناك (الميدان) فسيح لمن أراد أن يتجول حول النصوص بلا حرج.

فلم يكن تحوله - إذن - إلا تعبيرا عن أنه (أنجز) مهمته الأولى في (علم الكلام). واتجه إلى المهمة الثانية (الفقه) ليحدّها ويخدمها (بملكته) الاستنباطية ألتي وُهبت له من الله تعالى.

تحقيق الموقف الثاني :

ويمكننا أن نقول بخصوص موقف (النهي)

إن أبا حنيفة مامنع ولده (حماداً) من (الجدال) فى (علم الكلام) إلا لأنه أحس باختلاف(المنهج) لدى المشتغلين بعلم الكلام.

فقد سأله ولده : كنت تجادل وصرت تنهانا ..؟..

فقال أبو حنيفة : (إنك تجادل وأنت تتمنى سقْطة مجادلك . فتصرعه فيها . وكنا نجادل خاشعين ويؤمنا الحق..).

ويتضح من هذا أن نهى أبى حنيفة عن (الاشتغال) بعلم الكلام لولده (حماداً) : لم يكن (فتوى) بعدم الاشتغال ، ولاينبغى أن يؤخذ منه أنه قد (عدل) عن فتوى (الحل).

وإنما كان(النهى) فتوى بضرورة الالتزام بمنهج الحق فى الجدل . وأن يكون غاية مجادلة الخصم إظهار جانب الحق حسبة لله تعالى . لانصرة للمجادل . وإعلانا لبراعته فى الاستدلال الجدلى.

ونعتقد أن أبا حنيفة ما ألف كتبه فى (علم التوحيد) إلا ليعطى (الموازين) العملية . التى يجب أن يكون عليها (الجدل) فى العقيدة .

وقد بان لنا الآن : أن علم التوحيد وجد من يمنع الاشتغال به . ووجد من يجوّز هذا الاشتغال.

ونحن نعتقد: أن ضرورة عدم الاشتغال أكبر خطراً من ضرر الاشتغال. لتوثب أعداء العقيدة عليها .

وإنما فقط - ينبغى أن يكون الاشتغال به (حسبة) لوجه الله تعالـــــى و بينة إظهــار الحق وإيصاله.. وهذا هو مانفهمه من القول بأنه (فـــرض كفاية) . فإذا علمنا أن (الفروض) عبادة لله تعالى . وأن نعلـــــم أن آداب الاشتغال بعلم التوحيد : هو : إفراغ القلب لله تعالى . تلمساً للحق ووجه الصواب.

أول المؤلفات الكلامية

***

إذا أردنا أن نعرف بدء التدوين فى المؤلفات الكلامية لندرك : منذ متى وصل التراث الإسلامى فى مجال (علم التوحيد) بمعناه الاصطلاحى.

نجد أنه قد اعتبر المؤرخون : صدر العصر العباسى (بداية) لظهور التأليف والتدوين فى العلوم الإسلامية.

ولما كان لعلم التوحيد ، نصيب لاينكر ، فقد عدوا له كتبا فى اتجاهات متعددة :

أولا : الكتب الكلامية الاعتزالية :

ألف واصل بن عطاء (ت١٣٥هـ) وهو من منشىء (الاعتزال كتابا فى (المنزلة بين المنزلتين) ، وكذلك ألف كتاب (الفتيا) وكتاب (التوحيد).

كما ألف عمرو بن عبيد المعتزلى (ت١١٤هـ) ، كتاب (الرد على القدرية).[١]

ثانيا : الكتب الكلامية الشيعية :

أما من وجهه النظر (الشيعية) الكلامية ، فقد ألف : هشام ابن الحكم فى (الإمامة) ، وفى الرد على المعتزلة).[٢]

---

(١) هذه الكتب الاعتزالية (فُقِدت) ولم يصلنا منها إلا الأسماء التى حفظها المؤرخون.

(٢) لم تصلنا المؤلفات الشيعية الكلامية الباكرة تلك .

ثالثا : الكتب الكلاميـة السنيـة :

أول من ألف فى علم التوحيد وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة ، هو ابو حنيفة رحمة اللـه تعالـى .

فقد ألف بنفسه كتاب (الفقه الأكبر) وكتاب (العالم والمتعلم) ، وغيرهما من المؤلفات التى تنزع منزع أهل السنة ، وقد صرح (أبو حنيفة) فى هـذه المؤلفات بأكثر (مباحث) علم التوحيد .

منزلة علـم التوحيد :

بعدما استعرضنا فى عجالة كيفية (نشأة) علم التوحيد ، وقفنا علـى أقدم مؤلفاته ، وأسبق من ألف ، وأوائل ماوصلنا منها .

بعد ماعلمنا هذا : نكون قد هيأنا العقل لتقبل مسائل علم التوحيـد ودراسة مصطلحاته : بحماس وإخلاص ، إدراكًا منا : أنه (علم) تفرد عـن العلوم الإسلامية الأخرى : بنشأته الطريفة ، والتى قامت على فكـرة : الضرورة والاضطرار التى فرضتها ظروف العقيدة الاسلامية وعلاقتهـا بأعدائها ، فنشأ (علم التوحيد) ليكون الحصن والدرع للإسلام ، من هجمات الأعداء على العقيدة الإسلامية .

ومايجب علينا اعتقاده هنا :

أن الدين الإسلامى : يُقرّ النظر العقلى ويعتمد عليه إلى جانب (النقل) فى شرح (غاية) الوحى المعصوم فى توضيح عقيدته .

وأما ماوراء العقل الصحيح ومنهجة • وماوراء (الوحي) ونصوصه فنزعات وشهوات • لايعترف بها الإسلام•

وينبغي أن ندرك : أن القرآن الكريم هو : الفيصل في حكمه على التفكيـــر والاستدلال والقضايا •

وهو الذي يقرر لنا المنهج الذي نحكم به أن هذا هو الحق والصواب • أو هو : الباطل والخطأ خاصة : وأن القرآن الكريم قد عرض العقيدة الإسلامية ولم يتركها لأحد من الناس • فهي من (الذكر) الذي تكفل الله سبحانـــــه وتعالى بحفظه • ولو تقاعس عنها البشر يقول الله تعالى :

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1]

** الاستـــــدال **

صور الاستدلال :

من يريد الاستدلال على أمر من الأمور أو قضية من القضايا فإنه يسلك عدة صور من (مناهج الاستدلال) وقبل العرض نشير إلى:

الأمر الضروري : (البداهة)

هو الذي لايحتاج إلى دليل في الاستدلال ويقابله الأمر النظري وهــــــو مايحتاج إلى دليل من الاستدلال والضروري يعرف (بالبداهة)•

أهم مناهج الاستدلال :

١- منهج السّبْر والتقسيم :

السّبْر لغة : قياس عمق الشيء • واصطلاحاً : هو أن نحصر الشيء فـــــي

(١) يراجع بالتفصيل العناصر الواردة في (النشأة) في بحثنا (أبو حنيفة متكلما) مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين •

قسمين لايخرج عنهما فإذا بطل أحد القسمين صح الثانى ٠

مثاله أن نقول : العالم إما حادث وإما قديم .

ومحال أن يكون قديمًا فثبت كونه حادثـًا

قولنا إن العالم حادث هو المطلوب وهو علم (ثالث) أخذناه من علمين

سابقين هما (المقدمتان) الآتيتين :-

الأولى : قولنا العالم إما حادث وإما قديم ٠ أىْ الحكم بانحصار العالم

بين الحادث والقديم٠

الثانية : قولنا ومحال أن يكون قديماً .

ولابد أن يكون بين المتقدمتين ازدواج أىْ تقريرٌ مستوفى لشرائطه حتى تلزم

عنهما النتيجة٠

٢- منهج القياس :

وصورته أن نقوم بترتيب المقدمات ترتيباً منطقيا.ومستوفيا للشروط

بحيث تلزم النتيجة بالضرورة عن هذه المقدمات٠

مثال : العالم لايخلو من الحوادث وكل مالايخلو عن الحوادث فهو

حادث إذن العالم حادث٠

٣- المنهج الإبطالى :

وهو عبارة عن عدم التعرض للدعوى المراد إثباتها بالإثبات وإنما نتجه

إلى بيان مافى دعوى الخصم من الاستحالة والبطلان مثال ذلك :

يدعى الفلاسفة أن حركات الفلك مستمرة سرمدية لانهائية.فنتجه إلى

دعوى الفلاسفة ونبين بطلانها.فنقول : لوكانت حركات الفلك لانهائية للزم

القول بانقضاء مالايتناهى • ولكن انقضاء مالايتناهى باطل فيبطل ماأدى إليه• وهو مايدعيه الخصم من أن حركات الفلك لانهائية•

وهكذا : يظهر لنا أن هذه المناهج الثلاثة فى مضمار الاستدلال على حقائق علم التوحيد لاشك فى صحتها وتوصل الى المطلوب •

عناصر الدليل وطرقه الإلزامية :

لايمكن أن نقبل الأفكار والقضايا إلا إذا كانت مدعمة بالدليل فماهو الدليل ؟

الدليل هو: ازدواج المقدمتين بشرائط معينة ••إزدواجاً يؤدى إلى النتيجة المطلوبة•

ماهو المطلوب أو المدلول :

المطلوب أو المدلول هو النتيجة اللازمة من هاتين المقدمتين ويسمى (مطلوباً) بإعتبار أننا نطلب الوصول إليه ويسمى (فائدة) ويسمى(نتيجة) باعتبار لزومه للمقدمات هذا إذا لم يكن هناك خصم نناقشه • فإن كان هناك خصم نناقشه يسمى (دعوى)•

مكانة نتيجة الدليل :

من المعلوم أن (نتيجة الدليل)• تلزم بالضرورة إذا وقع التسليم بصحة المقدمات•

ولكن الخصم له أن ينكر هذه المقدمات أو بعضها فلا تلزمه نتيجة القياس . وحرية الأفكار هذه ليست (فوضى) فى جو الإنكار فإن هناك من الأمور مايلزم

الخصم الإقرار بها بحيث لايجديه إنكاره لها. ومن ثمّ تلزمه نتائجها ومن هذه الأمور مايأتي :-

الأول : الإدراك الحسّي الظاهريّ والباطنيّ مثل : كل حادث لابدّ له من سبب . وفى العالم حوادث فلابد لها من سبب .

فيقولون : فى العالم حوادث تقع يجب الإقرار بها لأنها مدركة بالمشاهدة الظاهرة أما المشاهدة الباطنة مثل إدراك حدوث الآلام والأفراح وتواردها على القلوب ممالايمكن إنكاره .

ألثاني : العقل المحض كقولنا : العالم إما قديم وإما حادث وليس وراء هذين القسمين قسم ثالث وهذا يعترف به كل عاقل ومنكره منكر للضرورة العقلية .

ألثالث: ألتواتر :

مثل قولنا محمد صلى الله عليه وسلم صادق لأن كل من جاء بالمعجزات صادق. وقد جاء هو بالمعجزة فهو إذن صادق.

ومعجزته القرآن... وبعد أن يقام الدليل للخصم على أن القرآن الكريم يعجز فإن سلم بذلك فبها ونعمت وإن أنكر هذا القرآن المعجز وهو الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم .

فجوابنا : يكون فإنّ الذى يقطع بنسبة القرآن لمحمد صلى الله عليه وسلم بالإتيان هو مانقل إلينا رواية جمع عن جمع ومن عصر إلى عصر وهذا الذى هو يعرف بالتواتر .

والتواتر موجب للعلم القطعي .

الرابع : (أن يكون الأصل) مثبتاً بقياس آخر مستند بدرجة واحدة أو درجات كثيرة إما للحسيات أو العقليات أو المتواترات .

فإنما هو فرع للأصلين يمكن أن يجعل أصلاً لقياس آخر مثاله: أننا بعد أن تفرغ من الدليل على حدوث العالم يمكننا أن نجعل حدوث العالم أصلاً في نظم قياس يقول :

كل حادث لابد له من سبب والعالم حادث فإذن له سبب فلايمكنه إنكار كون العالم حادث بعد أن اثبتنا بالدليل حدوثه.

الخامس : السمعيات :

مثالها : أننا نّدعى أن المعاصي بمشيئة الله تعالى ونقول : كل كائن فهو بمشيئة الله تعالى والمعاصي كائنة فهي بمشيئة الله تعالى اما قولنا : (كائنة) فمعلوم بالحس والمشاهدة

وكونها : معصية بتقرير الشرع لذلك .

وقولنا : كل كائن بمشيئة الله تعالى فإنه (أصل) ثبت بالسماع بإجماع الأمة على صدق القائل وهو محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: (ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن)فيكون السمع مانعا من الإنكار .

السادس : أن يكون الأصل مأخوذاً من معتقدات الخصم ومسلماته فإنه يمتنع عليه الإنكار حينئذ وهو المطلوب في الاستدلال.

مصطلحات كلاميـة :

نحب هنا أن ندرج بعض المصطلحات التى نجدها فى (مدّونات) علـــم التوحيد • وصارت (مصطلحاً) إصطلح عليه علماء هذا الفن وسنشير إلــى أهمها والتى يحتاجها الدارس لعلم التوحيد •

أولا : ألجوهـر :

يطلق الجوهر على (الممكن الموجود) فقط• ولايطلق على (الواجــب) ولاعلى (المستحيل)• ولاعلى الممكن فى حالة عدمه•

ولاخلاف بين علماء الكلام فى إطلاق الجوهر • وعلماء الكلام لم يختلفوا فى إطلاق الجوهر ولافى تعريفه • فما المراد من مفهوم الجوهر • عندهم •؟

الجوهر عند علماء الكلام• هو : ماقام بنفسه • ومعنى قيام الجوهـــر بنفسه أنه يتميز بنفسه غير تابع لتحيّز شيء آخر •

وعليه : فمعنى : قيام البارى بنفسه : عدم إفتقاره إلى محل أو مخصّص•

أقسام الجوهر :

أـ ألمتكلمون : قسم المتكلمون الجوهر إلى قسميـن :ـ

١ـ جوهر فرد : وهو الذى لايقبل القسمة بوجه من الوجـــوه •

وليس المراد به (الذّرة) فى المفهوم المعاصر • فقد استطاع (العلم) أن يجعلها تقبل القسمة•

ولكن المراد منه (بداية) عقلية • كالنقطة الهندسية • التى لاطول لها

ولاعرْض وتعتبر منطلقاً للإستدلال الهندسي .

وكذلك : يعتبر الجوهر الفرد : تصوراً عقليا لبداية الاستدلال وهو لاينقسم سواء قال عنه العلم التجريبي : إنه الذرة فلما انقسمت : قال عنه إنـــه : (الجزيئ) الذى لايتجزأ فماذا سيقول عندما يستطيع العلم التجريبي تقسيم (الجزيئ) أيضا .؟

وعليه : فيجب أن يفهم من (الجوهر الفرد) : أنه تنظير فلسفي أو عقلي . مثلما رأيناه في النقطة الهندسية . وإن كانت المخالفة بينهما :

: أن النقطة قد تعتبر (وهماً) أحيانا ولكن :(الجوهر الفـــرد) حقيقة موجودة .

ولكني أؤكد على أنه ليس (الذرّة) أو أي شيء محدّد في المادة بل هـــو تعبير عن : أدنى مايمكن أن يتصوره العقل من جوهر فردي . لايمكن أن ينقسم إلى : جوهرين . أو أكثر .. وعندما يصل الجوهر . إلى هذه (الفرديـــة) نقول : هذا مايعنيه علماء التوحيد من (الجوهر الفرد).

وبذلك نسد الطريق على المناقشات القديمة حول الجوهر الفـــرد والمناقشات المعاصرة . حوله بعد انقسام (الذرّة).

وليس هناك في العقل مايمنع أن يكون : الجوهر الفرد . بداية للعقل في استدلاله .

٢- جوهر جسم :

وعرفه الأشاعرة بأنه : ماتركب من جزأين فأكثر . فإذا انضم (جزء) إلى

(جزء) حصل منهما جسد قابل للقسمة فى جهة واحدة · وهى : الطول ·

وهذا نفهمه بإستحضار فكرة (النقطة الهندسية) التى هى : أســـــــاس (الخط)·

وعرفة المعتزلة بأنه : الطويل العريض العميق · وعلى ذلك · فالمنقســم فى جهة واحدة يسمى :(خطاً) جوهرياً وفى جهتين يسمى : (سطحاً) جوهريا ·

والخط والسطح : واسطتان عند المعتزلة بين الجوهر الفرد والجســـم·

وهما داخلان فى الجسم عند الأشاعرة (وقد تحكم هنا المذهب فى الواسطة عندهما)·

ب ـ الحكماء (الفلاسفـــة)

قسم الحكماء (الجوهر) إلى خمسة أقسام :

١ـ الهيولى : وهى المادة التى تتكون منها الأشياء وتكون موجودة بالقوة·

٢ـ الصـورة : وهى : مابه الشيء موجود بالفعل ·

٣ـ الجسـم : وهو : ماتركب من الهيولى والصورة معا ·

٤ـ النفس : وهى : جوهر مجرد يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف

٥ـ العقـل : وهو : جوهر مجرد يتعلق بالبدن تعلق التأثير ·

أحكام الجوهر :

للجوهر أحكام كثيرة · ولكننا سنشير إلى مايعنى الدارس لعلم التوحيد

١ـ الجوهر قابل للبقاء زمانين فأكثر ·

وهذا الحكم (بدهى) · لايحتاج إلى استدلال لأننا نعلم بالضرورة: أن مارأيناه بالأمس ونراه اليوم · هو هو لاتبدّل فيه· وإذا عَرض له (تبدّل)

متعلق به • ففى (الأعراض) فقط • وحكم البقاء هذا على الجوهر : ضرورى •

٢- ألجواهر لاتتداخل فى بعضها على جهة ('النفوذ) من غير زيادة فى الحجم • أما على جهة (الظرفية) فلامانع من التداخل•

٣- الجواهر متماثلة فى الحقيقة • عند علماء الكلام وخالف فى (التماثل) الحكماء•

وينبنى على الاختلاف فى (التماثل)•ألخلاف فى (تماثل) الصفات النفسية• فمن قال بالتماثل : طرّد فى الصفات • ومن منع (التماثل) منع فى الصفات•

ثانيا : ألعَرَضُ

العرض عند الأشاعرة هو : الممكن الموجود القائم بمتحيّز والمراد بالمتحيّز (الجوهر) •

والعرض عند المعتزلة هو : لو وجد لقام بمتحيّز •

وتعريف المعتزلة (أعم) من تعريف (الأشاعرة) • لأنه يشمل : الممكن الموجود والممكن المعدوم • بينما الأشاعرة يخصونه بالممكن الموجود فقط •

أقسام العرض عند المتكلمين :

قسم علماء الكلام العرض إلى قسمين :

الأول : مايختص بالحىّ• مثل : العلم والقدرة والإرادة والإدراك بالحواس الباطنة•

الثاني : مالايختص بالحيّ ، وهي :

أ- ألمدركات بالحواس الظاهرة ، مثل : السمع والبصر والذوق والشم واللمس.

ب - الأكوان الأربعة،ومعنى (الكون) : حصول الجوهر في الحيّز وهي :

١- ألإجتماع ، وهو حصول جوهرين في حيّزين لايمكن أن يتخلل (جوهر ثالث).

٢- ألإفتراق ، وهو حصول جوهرين في حيزين بحيث يمكن أن يتخلل بينهما (جوهر ثالث).

٣ - الحركة ، وهي : حصول أول في حيز ثان .

٤ - السكون وهو : حصول ثان في حيز أول .

وتجدر ملاحظة : أن تعريف الحركة والسكون هذا : يقتضي وجود (واسطة) بينهما ، بأن يكون هناك (حصول) ، وهذا الحصول ليس اجتماعا ولا افتراقاً ولاحركة ولاسكونا .

مثال : لوفرضنا أن الله تعالى خَلقَ (جوهراً فرداً) ليس معه آخر فان حصوله (آن) الحدوث ، ليس واحداً من الأكوان الأربعة.

أقسام العرض عند الحكماء :

قسم الحكماء العرض الى تسعة أقسام وهي :

ألأول - ألكمّ ، وهو مايقبل القسمة لذاته ، وهو أيضا : ماوُجد عادٌ يعدّه إما بالفعل كالعدد ، أو بالتوهم كالمقدار كالطول والعَرْض والزمان وهو أيضا : مايقبل التساوي والزيادة والنقص.

ويمكن جمع هذه الخواص في تعريف واحد يقول :-

ألكم : مايوجد عاد لا يعده • ويقبل القسمة لذاته • والتساوى والزيادة والنقصان •

أقسام الكم : وينقسم الكم الى قسمين :

١ـ ألكم المتصل • وهو الذى يمكن أن يفرض فيه أجزاء يتلاقى كل جزأين منها على حد واحد مشترك بينهما • يكون بداية لأحدهما • ونهاية للآخر.

مثل : الخط إذا قسم إلى جزأين • فالحد المشترك هو : النقطة •

والكم المتصل • إما أن يكون :

أ ـ قار الذات وهو الذى يجوز اجتماع أجزائه المفروضة فى الوجود وهو المقدار • وأنواعه ثلاثة : خط وسطح وجسم تعليمى•

بـ أو غير قار الذات • وهو : مالايجتمع أجزاؤه فى الوجود • وهو : الزمان فإن أجزاءه إنما تتحقق على التوالى والتعاقب فيوجد الجزء الثانى بعد انعدام الجزء الأول•

وبذلك يكون الكم المتصل قد انحصر فى الآتى :-

١ ـ الخط ٢ ـ السطح ٣ ـ الجسم التعليمى ٤ـ الزمان

والخط من الأعراض : لأن الجسم قد يوجد بدونه كما فى الكرة التامة التكوير • وكذا : الأفلاك • فلا يكون الخط واجب الثبوت للجسم وبذلك يكون من مقوماته فيكون : عرضا •

والسطح يعتبر عرضا لأنه بواسطته تنتهى الأجسام ـ فالسطح ينتهى بالخط والخط ينتهى بالنقطة•

والجسم التعليمى يعتبر عرضاً : لأن الأشكال التى تتوارد على الجسم

الطبيعى مثل : القطعة من (العجينة) تجعلها مرة(مربعا) ومرة(مثلثا).
فقطعة (العجين) جسم طبيعى والأشكال التى تواردت على (القطعة)
تسمى : جسماتعليميا . وهو - كما رأينا - ليس من مقومات الجسم.
لعدم ثباته . فيكون عرضاً .

والزمان عرض لأنه : مقدار حركة الفلك . فالزمان قائم بالحركة
والحركة عرض . والقائم بالقائم بالحركة يكون : عرضاً .

٢- ألكم المنفصل : وهو : العدد

واعتبار العدد من العرض . لأنه متقوم بالوحدات . مثل : (العشرة)
فإنها (وَحْدة) متكاملة . والوحدة (عرض وجودى) فيكون العدد: عرضاً
وجودياً .

ألثانى : ألكَيْف :

ألكيف عَرَض لايستلزم القسمة ولاعدمها بالذات ولايتوقف تصورة على
تصور غيره.

فهو يخالف (الكم) لاستلزامه القسمة . ويخالف : الأعراض النسبية
مثل : الأيْن والمَتَى والوضْع والإضافة والمِلْك وأنْ يفعل وأنْ ينفعل.

أقسام الكَيْف : ينقسم الكيف إلى أربعة أقسام :

١- كيفيات محسوسة . وهى ماتُحس بإحدى الحواس الخمس الظاهرة.
كالحرارة والبرودة والألوان والأصوات والروائح والمذوقات .

٢- كيفيات نفسانية : وهى المختصة بذوات الأنفس كالحياة والصحة والقدرة والإرادة. وهى توجد فى الإنسان وغيره، تسمى (ملكة) إنْ كانت راسخة يعسر زوالها . وإلا تسمى (حالًا) ويمكن أن ترسخ (الحال) فتصير (ملكة) كالكتابة فى البدء تكون (حالًا) فإذا رسخت واستحكمت سُميت: (ملكة). والمراد (بالحال) هنا : الهيئة ..

٣- كيفيات مختصة بالكميات : سواء (المتصلة) مثل الاستقامة العارضة للخط . أو (المنفصلة) مثل : الزوجية العارضة للعدد . فالخط (كمٌ) والاستقامة (كيفٌ) والعدد (كمٌ) والزوجية (كيفٌ).

٤- كيفيات مختصه بالاستعدادات : وهى الكيفية التى يستعد الجسم بسببها لقبول (أثرها) بسهولة . مثل : اللّين فى الجسم ويسمى (ضعفاً) . ومثل : الصلابة فى الجسم التى تدافع القبول وتسمى (قوة) .

أثالث الأيْن .

الأيْنُ - عند المتكلمين - هو حصول الجوهر فى الحَيِّز والمكان وكثيراً : مايعبر عن الأيْن . بالكوْن أو بالحصول أو بالوجود . فالكون : وجودى عندهم.

وأما عند الحكماء فالأيْن . هو : حصول الجسم فى المكان . وقد يكون أيناً حقيقياً ككون (زيد) فى موضعه الذى يشغله بالفعل مثل (الكرسى) الجالس عليه وعلامته : مماسة جسمة للأيْن المشغول.

وقد يكون (أيناً مجازياً) وهو ماكان الحيز فيه (فضفاض) الشغل والمماسة على (الحال) فيه مثل كون (محمد) فى الدار . فإن كل (الدار)

لاتكون مشغولة على وجه يماس ظاهره • ويمكن وروده أوسع مثل (على) بالبلد

وتعريف المكان : هو السطح الباطن من الحاوى المماس للسطح الظاهر من المحوى•

ألرابع : ألمتى :

ألمتى هو : حصول الشئ فى الزمان • والمراد بالشيء : ألشيء الحادث مطلقاً •

وينقسم إلى :-

١- متى حقيقى : وهو كون الشيء فى زمان لايفضل عليه مثل كون الكسوف فى لحظة معينة•

٢- متى مجازى : وهو كون الشيء فى زمان يفضل عليه مثل : يحضر محمد فى هذا الأسبوع•

وتعريف الزمان - عند الحكماء - هو :مقدار حركة الفلك•

وعند المتكلمين : إمتداد موهوم يقع ظرفاً للحوادث•

ألخامس : ألوضع :

والوضع عبارة عن : هيئة تعرض للجسم بسبب نسبة أجزائه بعضها لبعض وسبب نسبتها الى خارج •

وينقسم الوضع الى :-

أ - مالايعتبر فيه إلّانسبة الأجزاء إلى بعضها • مثل : المثلث والمربع والمستدير •

ب- مايعتبر فيه نسبة الأجزاء إلى بعضها وإلى الأمور الخارجية مثل : القيام والركوع والسجود •

ألسادس : المِلْك :

والملك عبارة عن : هيئة تعرض للجسم بسبب ماأحاط به وانتقل بانتقاله كلبس القميص ولبس الخاتم والمحيط بالجسم قد يكون : خِلْقيا كالجلد •

وقد يكون غير خِلْقى سواء أحاط بتمام الجسم أو ببعضه• مثل : الثوب أو العمامة •

السابع : أَنْ يَفْعل :

ومعنى أن يفعل : تأثير الشيء في غير مادام مؤثراً • وهى عبارة تفيد الأمور المتجددة والغير قارّة•

وهى غير : الفعل لأنه يطلق على الحاصل بعد الحركة•

ألثامن : أَنْ ينفعل :

ومعنى أنْ ينفعل : تأثر الشيء عن غيره مادام متأثراً • وهو غير (الإنفعال) الذى يقال على : الحاصل بعد الحركة • وبذلك : افترق المعينان •

مثال للمقولتين : تأثير النار فى الماء مادام موضوعاً على النار يسمى: (أن يفعل) وسخونه الماء بالنار مادام متأثراً بها يقال له (أن ينفعل)•

وبينهما تلازم فى الوجود والعدم . فإن انقطع تأثير النار - بالإطفاء الإزالة - ضاعت (المقولتان).

ألتاسع : الإضافة :

والإضافة هى : النسبة التى لاتُعقل إلاّ بالقياس إلى نسبة أخرى معقولة بالقياس إلى الأولى . مثل : ألأبوة والبنوة . وهذه هى الإضافة الحقيقية وهى المعتبرة فى المقولات وإذاً فالإضافة - فى المثال - مجموع الأمرين - الأبوة والنبوة . سمى كل منهما : مضافا مشهوريا - ولاتعتبر هذه الاضافة فى المقولات.

والنسبة الإضافية قد تكون متخالفة فى الجانبين . مثل الأبوة والنبوة وقد تكون متوافقة . مثل : الأخوة.

****

المطالـب السبعـة

***

إن إثبات قضايا التوحيد يتوقف على ماعرف فى اصطلاح العلماء باسم (المطالب السبعة) . وميدانها البحث فى : الجواهر والأعراض . ويتوقف إثبات (حدوث العالم) على إثباتها .

لذلك عنى بها (علماء الكلام) ليردوا على الفلاسفة القائلين (بقدم) العالم .

ونستطيع أن نوجز المطالب السبعة كالآتى :

المطلب الأول : أن هناك أعراضا زائدة على الجوهر بدليل المشاهدة.وهذا يرد على الفلاسفة الذين ينفون أى شيء زيادة على الجوهر .

المطلب الثانى : أن نعلم أن العرض لايقوم بنفسه . بل بالجوهر . فلا يعقل (صفة بلا (موصوف) ولا (حركة) . من غير (متحرك)

وهذا رد على الفلاسفة الذين يجوّزون قيام العرض بنفسه إذا لم يتصف به الجوهر .

المطلب الثالث: أن نعلم أن العرض لاينتقل من محل إلى محل آخر والدليل على ذلك : أنه لو انتقل . لكان بعد مفارقة الأول وقبل وصوله إلى الثانى قائما بنفسه وقد بطل قيام العرض بنفسه

المطلب الرابع : أن نعلم أن العرض : لايكْمُن . إذ يلزم من كُمُونه: اجتماع الضدين . فإذا سكن الجسم وكانت (الحركة) كامنة فيه كان هذا الجسم الساكن قد جمع بين الضدين فى وقت واحد . وهو باطل.

المطلب الخامس: أن نعلم أن العرض : لاينفك عن الجسم بدليل : أنه لايعقل جسم خالٍ عن (حركة ولاحركة) فى وقت واحد ،

إذ يستحيل ارتفاع النقيضين معا ،

المطلب السادس: أن نعلم أن القديم لاينعدم ، فالأعراض ليست قديمة لأنها تنعدم ، بل هى : حادثة،

والدليل : أن وجود القديم واجب لذاته ، فلا يقبل العدم،

المطلب السابع : أن نعلم أنه لايوجد حوادث لأول لوجودها ،

والدليل على ذلك :-

١- أنه حيث كانت حوادث ، لزم أن يكون لها أول ، وإلا لزم التناقض لأن : المفهوم من كلمة حادث : أن يكون له أول،

٢- برهان التطبيق : وحاصله: أن نفرض سلسلتين تبدأ أحدهما من الآن إلى مالانهاية فى الأزل ، وتسمى : (الآنية) ،

وتبدأ الأخرى من عهد الطوفان - مثلا - وتسمى (الطوفانية) إلى مالانهاية له فى الأزل ،

ثم نطبق : السلسلتين إحداهما على الأخرى ، من أولهما ، بأن : نأخذ (واحداً) من (الآنية) ونقابله (بواحد) من (الطوفانية) ،

فحينئذ لايخلو حال السلسلتين عن الآتى :-

أ - إما أن (تتساويا) ويكون لكل فرد من السلسلتين مقابل،

ب ـ وإما أن (تتفاوتا) .

فإن (تساويا) : لزم مساواة الناقص للزائد . وهذا باطل وإن (تفاوتا) :
فيكون التفاوت بينهما بمقدار (متناهٍ) (ماكان من الطوفان إلى الآن) والذى
يزيد بمقدار (متناهٍ) يكون : متناهياً .

وبذلك بطل التسلسل . وبطل وجود حوادث لاأول لها .

ويمكن أن يُساق على بطلان التسلسل أدلة مختصرة منها :-

١ ـ السلسلة عدد . وكل عدد متناه . إذاً : السللة متناهية .

٢ـ السلسلة إما زوج أو فرد . وكل منهما متناهٍ . فالسلسلة متناهية .

ولأهمية (المطالب السبعة) نظمها بعضهم فى قوله :

زيد مقام ماانتقل كمنا *** ماانفك لاعدم قديم لاحنا .

وقال علماء التوحيد فى التحضيض على معرفتها : إن هذه المطالب
السبعة لايعرفها إلا (الراسخون فى العلم) .

المتقابلات الست

****

(كل الممكنات يجوز عليها (المتقابلات الست) ومعنى التقابل هنا : التنافى ٠

وعنوا بهذه المتقابلات الست : أن صفة الإرادة لله تعالى ٠ عندما (تُخصّص) الممكن٠ فإنما يكون تخصيصها له ببعض مايجوز عليه من هذه المتقابلات الست٠ إذ لاتتعلق الإرادة بالواجب أو المستحيل٠

والمتقابلات الست ٠ هى :-

١- الوجود يقابل العدم٠ وبالعكس ٠

٢- بعض الصفات يقابل بعضاً فكوْن الممكن أبيض يقابل كونه أسود ٠

٣- بعض الأزمنة يقابل بعضاً ٠ فكونه فى زمن عيسى عليه السّلام يقابل كونه فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم٠

٤- بعض الأمكنة يقابل بعضاً ٠ فكونه فى (مصر) يقابل كونه فى (مكة)

٥- بعض الجهات يقابل بعضا ٠ فكونه فى المشرق يقابل كونه فى المغرب

٦- بعض المقادير يقابل بعضاً ٠ فكونه قصيراً يقابل كونه طويلا ٠

وقد جمع الناظم هذه المتقابلات الست فقال :

ألممكنات المتقابلات *** وجودنا والعدم الصفات ٠

أزمنة أمكنة جهات *** كذا المقادير روى الثقات ٠

*****

(كيف تستدل على وجود الله بالعقل وحده ؟٠٠)

" دليل يصلح لمنكر الوحي "

****

نحن في حاجة الى الوقوف على بعض (المصطلحات) التي وجدهـــا علماء التوحيد (هامة) في تقديم الاستدلال الى (المعانديـــن)٠

العلم والمعلـــوم :

إذا كان العلم هو : حصول صورة الشيء في الذهن ٠ وأن هذا الادراك ٠ ينتزع من (خارج) يؤثر في (العلم) ٠ فالعالم ٠ لديه :علم انتزعه مـــن مدركات خارجية ٠ هي (المعلوم) ٠ وهي متعددة الأنواع والفصـــول ، والأجناس والكليات والجزئيات ٠ فهي ـ عموما ـ تمثل الوجود الخارجـــي وتستغرقه ٠ والإحاطه به : بجانب أنه وظيفه (علوم) أخرى ٠ فهو ضرب من الاستحالة العادية في (إحصائها)٠

المعلوم وأقسامه :

الأمور المعلومة ٠ والتي يمكن أن يتعلق بها علمنا ومعرفتنا بصفـــة عامة تنقسم من حيث النظر إلى (وجودها) إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ واجب الوجود لذاتـــه٠

ب ـ ممكن الوجود لذاتـــه٠

ج ـ مستحيل الوجود لذاتـــه٠

معنى المستحيل لذاته :

المستحيل لذاته : هوماعدمه لذاته من حيث هي ٠ أي : ماتقتضي ذاته العدم دائما ٠ بحيث لايقبل الثبوت أصلا إذا كان نظرنا إليه لذاته ٠ بلا اعتبار لأمر خارجي عنه٠

مثال المستحيل :

المستحيل مثل : اجتماع النقيضين ٠ كالوجود والعدم ، والحركة والسكون في شيء واحد وفي وقت واحد ٠ فيستحيل أن يكون الشيء موجودا معدوما ٠ أو متحركا ساكنا ٠ في وقت واحد ٠ ومن أمثلة المستحيل لذاته : شريك الباري سبحانه وتعالى ٠

فكل هذه الأمور يحكم العقل باستحالة وجودها (بداهة) أو عن طريق الدليل إذا نظر إليها في حد ذاتها ٠

حكم المستحيل :

المستحيل حكمه في العقل أنه : لايقبل الوجود أبدا ٠ فلايطرأ عليه (الوجود) بأي صورة من صور الوجود ٠ بل هو (معدوم) بالضرورة أي : بحكم العقل والبداهة ٠ فان إجتماع الحركة والسكون في شيء واحد ووقت واحد ٠ لايوجد أبدا وكذلك : تقدم الإبن على أبيه بالوجود لايمكن أن يكون محققا أويمكن أن يتحقق٠٠

والدليل على هذا : أن العدم لازما من لوازم المستحيل ٠٠ فإن المستحيل لو فرض وجوده٠ للزم من فرض وجوده٠ محال ٠ وهو :

مفارقة العدم له • أى : أن المستحيل إذا كان يمكن أن يتحقق لـــــه وجود • فإنه يفـارق العدم الدائم•

وهذا يؤدى : إلى كونه غير مستحيل • بداهة لمفارقته للازم من لوازم ذاته • وهو العدم•

فمثلا : لو قلنا : التفكير لازم من لوازم الإنسان فلو انتفى (لازم) هذه الحقيقة عنها • بأن عدم الانسان التفكير • لما كان ذلك الإنسان إنسانـا لفقده للازم من لوازم ذاتـه•

وعليه : فلو انتفى لازم المستحيل الذى هو (العدم) عن المستحيـــل بأن اصبـح(موجودا) لامعدوما • للزم - بالبداهة - كونه غير مستحيـــل•

وكون المستحيل غير مستحيل : على هذا الفرض •• لايخرج عن معنى : سلب الماهية عن نفسها •• وهذا أمر باطل بداهة فبطل ما أدى اليه•وهو : فرض وجود المستحيل• وثبت بالتالى : أن المستحيل لايقبل الوجـــود أصـلا •

المستحيل والمجاز :

كيف يكون المستحيل من أقسـام الوجود • وهى : معدوم ••؟••

ينبغى أن ندرك أن اعتبارنا المستحيل من قبيل الأمور المعلومـــة أنه بهذا الاعتبار من (المجاز) وليس من قبيل(الحقيقة) فالحقيقـــة لابد ان تكون لصورتها الذهنية: صورة بالواقع الخارجى وهذا غير متحقق فى المستحيل فالعقل يلجأ الى أن (يفرض) له(مثالا) • ليتوصل بهـــذا (الفرض) إلى الحكم عليه بالاستحالة • فلايتصور العقل(آلة) مـــن

الآلات متحركة وساكنة معا لأن الواقع لايوجد فيه ذلك • وإنما يفترض العقل اجتماع الحركة والسكون فى (آلة) معينة ليمكنه إبراز معنى : المستحيل • إذ بالضد تتمايز الاشياء••

معنى الممكن لذاته :

الممكن لذاته هو : مالاوجود له ولاعدم له• من ذاته أي : من حيث هو (ممكن) • فيستوى لدى العقل وجوده وعدمه• فيقبل العقل كونه (موجودا) • كما يقبل العقل كونه (معدوما) بشرط (عدمية) الاتحاد فى الوقت•

والممكن بذلك لاتقتضى ذاته• الوجود أو العدم• وذلك• إذا نظرنا إليه دون اعتبار أمر خارجي عنه • وإذا وجد الممكن فماذاك إلا لأن غيره أعطاه (الوجود) وكذلك : إذا عدم الممكن فماذاك إلا لأن غيره (تخلف) عنه فلم يعط سبب الوجود •

مثال الممكن :

جميع الممكنات التى نراها أمامنا فى حياتنا من : حيوان ونبات وجماد وجميع الأحوال التى نلاحظها مثل : نزول المطر وهبوب الرياح •••الخ•• كل هذه الأمور توجد بعد عدم• وتعدم بعد وجود • فوجودها -إذا - ليس ضروريا •• وإلا لما عدمت • كما أن عدمها ليس ضروريا - كالمستحيل - والا لما وجدت •

وعلى ذلك : فإن كلا من الوجود والعدم • جائز فى حق (الممكن)

من حيث النظر لذاته ٠

وهذا هو المراد من معنى كلمة (الإمكان) ٠

متى يكون الممكن لذاته واجبا لغيره٠٠؟٠٠

قد يصير الممكن لذاته : واجبا لغيره ٠ وذلك فى حالة إذا اقتضى ذلك (الغير) وجود الممكن بالضرورة٠

فمثلا : إذا أراد الله سبحانه وتعالى : وجود إنسان (ما) فإن وجود ذلك الإنسان يصبح(واجبا) وهذا الوجوب لحقه لامن طريق كونه (إنسانا) وإنما من طريق كونه ممكنا قد تعلقت (قدرة) الله تعالى بايجاده فصار وجوده (واجبا) من ناحية هذا (التعلق) وليس من ناحية ذات الممكن وهذا معنى قولنا : صار الممكن (واجب) الوجود لغيره٠٠

متى يكون الممكن لذاته مستحيلا لغيره ٠٠؟٠٠

قد يصير الممكن لذاته : مستحيلا لغيره ٠ وذلك إذا إقتضى ذلك (الغير) عدم هذا الممكن ٠ فيكون (وجوده) مستحيلا بالضرورة٠

فمثلا : إذا أراد الله سبحانه وتعالى (عدم) إنسان(ما) فى وقت معين فإن وجوده يكون مستحيلا ٠ وهذه الاستحالة ليست من ذاته ٠بل هى لغيره وهذا الغير هو : تعلق (قدرة) الله تعالى بإعدامه ٠

أحكام الممكن :

علمنا أن الممكن هو (المحتاج) الى(السبب) فى إعطائه الوجود أوسلبه ٠ فلاتقتضى ذات الممكن : وجودا وعدما بل : وجوده وعدمه

من غيره . وهذا (الغير) هو : (سبب). أو (علة) وجوده...

وبذلك يثبت للممكن الأحكام التالية :-

أولا : حاجة الممكن الى السبب (العلة)

***

الشيء الممكن - حيوانا أو نباتا أو جمادا - يحتاج بالضرورة - البداهة - إلى (سبب) في وجوده إن وجد . وأيضا : يحتاج بالضرورة الى (سبب) في عدمه إن عدم. بأن طرأ عليه العدم بعد الوجود . أو كان معدوما أصلا . وبقي على عدمه.

الدليل على حاجة الممكن للسبب :

إذا كان وجود الممكن وعدمه ليسا من ذاته . بل من غيره . وأن ذات الممكن لاتستلزم الوجود أو العدم بالضرورة بل تارة تكون موجودة وتارة تكون معدومة

فالوجود والعدم بالنسبة لذات الممكن : متساويان في جواز كليهما على الممكن .

وعلى ذلك : لو وجد (شيء) ممكن بلا سبب يرجح وجوده على عدمه للزم رجحان أحد المتساويين بلا مرجح . وذلك باطل . لأنه : يقتضي كون(الوجود) أرجح من (العدم) بينما من لازم ذات الممكن : التساوي في الوجود والعدم . وأيضا : إذا عدم (شيء) ممكن . بلا سبب يرجح عدمه على وجوده . للزم (رجحان) أحد المتساويين وهو (العدم) بلامرجح وذلك باطل . لاقتضائه أن (العدم) أرجح من (الوجود) بالنسبة للممكن بينما (التساوي) هو لازم ذات الممكن.

وعليـه : لو وجد الممكن بلاسبب ٠ أو عدم بلاسبب للزم رجحان أحد المتساويين - الوجود والعدم - بلا مرجح ٠ ولصارا بذلك : غير متساويين ٠ وفى عدم التساوى بينهما : جمع بين النقيضين - وهما التساوى وعدم التساوى - فى شيء واحد ٠ واجتماع النقيضين : باطل وثبت انه لابد للممكن من (سبب) يرجح وجوده على عدمه أو عدمه على وجوده٠

ثانيا : حدوث الممكن :
****

الحدوث هو : الوجود بعد عدم ٠ وكل شيء من الممكنات الموجودة: حادث٠ ومعنى : كون الممكن حادثا ٠ أنه (حدث) بعد أن كان معدوما فالممكن إذا تحقق وجوده هو (الحادث) فحدوث الشيء وجوده بعد عدم ٠

مثال الحادث :

كل شيء نراه أمامنا من (الموجودات) التى نراها بالعين أو نسمعها بالأذن أو تحسها بأى وسيلة من وسائل الإدراك ٠ هو مايطلق عليه إسم (الحادث) ٠ وميدان الحادث، هو (الممكن)٠

الدليل على حدوث الممكن :

حتى نستدل على أن (الممكن حادث) يحتاج منا هذا الاستدلال الى (مقدمة) هامة ٠ لايفهم الدليل إلابها ٠

فماهى هذه المقدمة ٠٠؟٠

أثبتنا حاجة الممكنات إلى (السبب) فى وجودها وعدمها فلو وجد أمر ممكن ٠ فإن الفرض العقلى يقتضى أحد هذه الاحتمالات٠

أ- أن يوجد (قبل) وجود سببه .

ب- أن يوجد (مع) وجود سببه .

جـ- أن يوجد (بعد) وجود سببه .

مناقشة هذه الفروض :

ألفرض الأول : وهو وجود الشيء الممكن (قبل) وجود سببه. إننا نحكم على هذا الفرض بالبطلان .. لماذا ..؟.. لأن الممكن محتاج إلى (السبب) في وجوده . وهذا الفرض يفضي إلى شيء باطل. وهو : تقدم الشيء المحتاج وهو (الممكن) . على المحتاج إليه في الوجود وهو .(السبب) . وهذا (التقدم) باطل. لاستحالة (تقدم) المسبب عن السبب . وذلك لحاجة الممكن إلى السبب في وجوده . وفرض وجوده (قبل) سببه : إبطال لحاجة الممكن إلى السبب في وجوده وهذا خروج به عن دائرة (الممكن المحتاج) . إذ أن حاجة الممكن إلى (السبب) أمر ثابت بالضرورة - البداهة وعلى ذلك:

يكون تقدم وجود الممكن على (سببه) فرض (باطل).

الفرض الثاني : وهو وجود الممكن (مع) وجود سببه. مقارنا له وفي آن واحد .

ونحن نحكم على الفرض أيضا - بالبطلان . لماذا ..؟..

لأننا إذا تصورنا : أن الممكن يمكن أن يوجد في (آن واحد) مع وجود سببه للزم عن هذا التصور : أمر لامفر منه . وهو :(تساوى

الممكن والسبب في رتبة الوجود) أي : لايكون لأحدهما على الآخـــر (ميزة) في وجوده وهذا بدهي • مادام قد وجدا معا وفي آن واحد • وهذا التساوى : يجعل الحكم بأن أحدهما كان (سببا) في(وجـــود) الآخر • أو (علة) مؤثره فيه من قبيل : الترجيح لأحد التساويين على الآخر بلامرجح•

ومعلوم ـ بداهة ـ أن ترجيح أحد المتساويين بلا مرجح باطـــل لاستلزامه : كونهما غير متساويين • وذلك تناقض •

وعلى ذلك : يكون فرض وجود الممكن (مع) وجود سببه فـــي(آن واحد) فرض باطل•

الفرض الثالث : وهو وجود الممكن (بعد) وجود سببه •• وهـــذا الفرض : صادق • فحيث بطل الفرض الأول ـ تقدم الممكن على السبب والفرض الثاني ـ التساوى في الآنية ـ تعين صحة : الفرض الثالث وهو وجود الممكن (بعد) وجود سببه • لما تقتضيه القسمة العقليـــة ولاقتضاء نقض القضية إثبات النقيض وعليه : صح عند العقل صحـة الفرض القائل : إن وجود المسبب (بعد) وجود (السبب) حيث بطل قسيميه ونقيضه ••

صوغ دليل الحدوث :

بعد أن وطأنا بالمقدمة التى دلت على ضرورة وجود الممكن (بعد) وجود سببه• فإننا يمكننا أن نصوغ دليل حدوث الممكن على النحـــو الآتـــي :ـ

إن تقدم السبب على الممكن بالوجود يقتضي وجود السبب وحده إبتداء • ثم وجود الممكن بالوجود • يقتضي وجود السبب ابتداء يكون: وحده في الوجود قبل الممكن • وعليه : يكون الممكن بعد وجود السبب إبتداء وحده : معدوما ولو لفترة (ما)•

وبذلك يظهر : أن وجود الممكن يكون مسبقا بالعدم عند وجود السبب وحده : فيكون حادثا •

لأننا لانفهم من حكم (الحادث)• إلا ماكان وجوده بعد عدم فثبت بالدليل : أن كل حادث ممكن•

مثال : إذا نظرنا إلى وجود (الإبن) مقارنا بوجود (أبيه) فإننا نجد أن هذا (الإبن) يكون (معدوما) عند وجود (أبيه) ابتداء وحده أي : قبل أن ينجبه • ثم إذا أنجبه • صار وجود الإبن • (حادثا) •أي وجد بعد أن لم يكن •

وهذا هو معنى (الحدوث) وهو ثابت في كل أمر ممكن

ثالثا : الممكن المعدوم لايحتاج لسبب :

تقرر لدينا أن لكل أمر ممكن حالان:

الأولى : الممكن حال وجوده •

الثانية : الممكن حال عدمه •

فالممكن الموجود لابد له في وجوده من سبب يوجده أي :شيء (سبب) وجوده•

وعلى ذلك : فكل الكائنات الموجودة فى هذا العالم • لابد أن تعطى الوجود من (سبب) أوجدها •

وهذا السبب لايستطيع منح (الوجود) إلا إذا كان فى حالة (وجود) فالمعدوم لايكون مصدرا للوجود فقد استقر فى بداهة العقل : أن فاقد الشيء لايعطيه•

<u>السبب والعدم :</u>

هل يجب فى حالة (عدم) الممكن • أن يكون هناك (علة) تسبب عدمه كما اشترطنا فى الممكن حال وجوده••؟••

والجواب : أنه لايشترط وجود (السبب) فى حالة (العدم) كما اشترطناه فى حالة الوجود •

لأن العدم سلب ونفى• والنفى لايحتاج إلى سبب إيجاد بل يكفى فى عدم الشيء الممكن (عدم) السبب فى وجوده • وفى حفظ بقائه أو عدم التأثير فيه•

مثال : الجسم الساكن الذى لايتحرك • يوصف بأنه : شيء عدمت فيه الحركة أو : عدم السبب الذى يجعله متحركا •

وهذا الجسم فى سكونه • يكون فى حالة (عدم)ولايحتاج فى استمرار هذه الحالة إلى (سبب) يعطيه هذه الاستمرارية لأنها حالة سلب ونفى فيكفى فى (الساكن) عدم التأثير فيه بحركة أو أى مؤثر يماثلها •

وإذا كان (السكون) عدما • فإن العدم ـ بداهةـ لايحتاج الى (عدم) مثله•

ولعله الآن : اتضح معنى قولنـــا :

إن الممكن لايحتاج فى عدمه إلى سبب (وجودى) بل يكفى فيه (عدم) وجود سببه أو عدم تأثير ذلك السبب فيه.

وينبغى أن يعلم : أن وجود السبب (منفصلا) عن الممكن دون أن يتعلق به يعتبر كأنه فى حالة (عدمه) بلا اعتبار لوجوده فى حقيقة نفسه.

فإن وجود (القلم) على المنضدة فى حالة سكونه يحتاج فى حركتـــه لمن يحركه . فلو تصورنا (يدا) متحركة حول القلم ولكنها لاتلمســـه ولاتتعلق به حركتها . فإن (القلم) يبقى على سكونه (عدمه) رغم وجـــود السبب (المحرك). ولكنه فى حالة (انفصال) عنه...

رابعا : الممكن محتاج لدوام السبب ليبقـى :

****

لكى يستمر الممكن الموجود فى حالة (وجوده) فلابد له من (ســبب) يحفظ له هذا الوجود . ويؤكد بقاءه على معنى : أنه طالما أن الســبب الموجد كان موجودا فوجود الممكن باق به .. أما إذا انحسر عنه هــذا السبب أو زال أو تخلى عنه . أو تباعد تأثيره . أو عدم . فإن : الممكــن لايبقى بل يتحول ويصير إلى الطرف الثانى للإمكان وهو (العدم) وعلـــى ذلك : فإن السبب لازم لبقاء وجوده واستمراره كما كان لازما لوجـــوده إبتداء.

الدليل على هذا الاحتياج :

نعلم أن الممكن لاتقتضى ذاته الوجود أو العدم وهذا الاقتضاء . جعل

(وجود) احد طرفى الممكن بلا مرجح لأحد الطرفين على الآخر : أمــــرا مستحيلا ٠

وبذلك نجد : أن حاجة الممكن إلى السبب فى وجوده : لازم من لوازم حقيقة ذاته التى هى (الإمكان) ٠ وهو لاينفك عنها - عن الإمكان - فى أى حال من أحوال وجوده٠ سواء كان هذا الوجود وجودا فى الابتداء أو وجــــودا بالبقــاء٠

وعليه : فإن الممكن الموجود بالفعل والواقع : يكون متصلا بالسبب الذى أوجده ٠ ويمده : لحظة بعد لحظة ٠ وآنا بعد آن : بالوجـــــــود المتحقق فى الخارج ٠ بحيث لوتخلف عنه بالاتصال أو بالعدم٠٠ رأينــــا أن الممكن (عدم) بعد أن كان موجودا ٠

فالممكن - إذا - محتاج الى (السبب) حتى يوجد ابتداء كما أنه محتاج إلى (السبب) حتى (يستمر) وجوده ويبقى٠

معنى الواجب لذاته :

الواجب لذاته ٠ هو الموجود الذى لايقبل الانتفاء أصلا ٠ ولايطرأ عليه العدم ٠ إذا نظرنا اليه دون أى اعتبار خارجى ٠ وهذا معنى قولنا (لذاته) مثال الواجب لذاته: وجود الله تعالى ٠ وثبوت الزوجية للأربعة وشغــل الجسم حيزاً من الفراغ ٠

ونحن نحكم بضرورة هذه الأشياء بمجرد تصورها ٠ والعقل يحكـــــم بوجوبها بداهة ٠ لاعن طريق الدليل ٠ أى : بمجرد النظر إليها فـــــى ذاتها ٠

أحكام الواجب لذاته :

١- الممكن موجود قطعا :

أثبتنا أن جميع الكائنات : ممكنات • تقبل الوجود والعدم ونحن نحس بوجودها عندما توجد وبعدمها عندما تنعدم • ولذلك كان حكم العقل على وجودها (بدهيا) لايحتاج الى استدلال بل يكفي بمجرد توجيه الإحساس إلى الكون من حولنا • أو أنفسنا فنعلم أن الممكن موجود •• وعليه فالممكن موجود قطعا •

٢- وجود الممكن يقتضي وجود الواجب بالضرورة :

جملة الكائنات الموجودة ممكنة قطعا • وكل ممكن موجود يحتاج إلى سبب موجود يعطيه الوجود •

وذلك السبب هو : واجب الواجب •

والدليل : على أن : كل ممكن وجوده من غيره • أن الممكنات محتاجة إلى سبب يوجدها • وهذا السبب (عقلا) •

أ - إما أن يكون (عين) هذه الممكنات .

ب- وإما أن يكون (جزء) هذه الممكنات .

ج - وإما أن يكون (غير) هذه الممكنات .

مناقشة الفروض :

الفرض الأول : وهو إن سبب وجود الممكنات هو (عين) الممكنات .

وهذا الفرض باطل. إذ يلزم عليه تقدم الشيء على نفسه بالوجود . على معنى : أن تكون الممكنات موجودة باعتبارها (سببا) . قبل أن توجد باعتبارها (مسببا) وهذا يفضي الى : اجتماع النقيضين في شيء واحد وحالة واحدة . وهما : الوجود والعدم . والتقدم والتأخر .

الفرض الثاني : وهو أن سبب وجود الممكنات هو (جزء) الممكنات وهذا الفرض - أيضا - باطل . لأنّ هذا الجزء :-

أ- إن فرض أنه (أول جزء) وجد . كان هذا الجزء سببا في وجود نفسه وكون الشيء سببا في وجود نفسه مستحيل.

ب - وإن فرض أنه ليس (الجزء الأول). بل : أي جزء في الممكن . وجد متأخرا عن (أول جزء) . يترتب على هذا : كونه علةّ لنفسه . وهذا باطل أو كونه علة لما سبقه من أجزاء و هذا باطل ايضا : لأنّ (سبب) الشيء لابد أن يكون موجودا قبله حتى يمكن أن يعطيه الوجود . ويستحيل أن يوجد (بعده) لما علم بداهة من احتياج الممكن الى (سببه).

الفرض الثالث : وهو أن يكون (سبب) وجود الممكنات هو (غير) هذه الممكنات . وهذا الفرض صادق . وصحيح في حكم العقل.

فقد أثبتنا أنه يستحيل أن يكون السبب (عيّن) الممكنات. كما أثبتنا أنه يستحيل أن يكون السبب (جزء) هذه الممكنات .

لذلك : تعين أن يكون السبب هو (غير) هذه الممكنات . وهذا (الغير) موجود . والموجود عموما ذا أقسام ثلاثة :-

أ- المستحيل وهو معدوم ٠ والعدم لايكون مصدراً للوجود ففاقد الشيء لايعطيه ٠ فبطل المستحيل أن يكون سبباً ٠

ب- الممكن ٠ وهو محتاج ومسبب ٠ وكلامنا فى : السبب العلة التى توجد ٠ فيطل بذلك الممكن أن يكون سببا

جـ - الواجب وهو غير المستحيل والممكن ٠ والثابت التى لايطرأ عليه العدم ٠ فهو الموجود الدائم٠ فتعين أن يكون ذلك الغير الذى هو (سبب) وجود الموجودات ٠٠ وهو واجب الوجود ٠

وعليه : فسبب وجود الموجودات هو : غيرها وهذا الغير هو (واجب) الوجود ٠

فائدة بحثنا فى اقسام المعلوم :

تحدثنا عن المستحيل وموقعه فى العقل ٠ والممكن وأحكامه والواجب ووصلنا إلى أن هذه الموجودات (الممكنات) لابد لها من(سبب) أوجدها ٠ وهذا (السبب) لابد أن يكون (غيرها)٠ وهذه (الغيرية) ثبتت له بطريق العقل ٠ (وهذا الغير) : يطلق عليه اسم : (واجب الوجود) أو : سبب الوجود ٠ أو : علة الوجود أو :(سبب الايجاد)

وهذه الإطلاقات ٠ حسب (مناهج التفكير) التى توجد عند الذين يطلقون هذه الإطلاقات ٠ فالفلاسفة لهم إطلاق ٠ ٠وغيرهم لهم إطلاق٠٠إلخ .

ونحن المسلمين نطلق على(واجب الوجود) ٠ أنه هو : اللّٰه تعالى ٠

(فالله تعالى) واجب الوجود ٠ وقد ثبت لدينا - الآن- بطريق العقل والبداهة : وجوده سبحانه وتعالى ٠٠

وقد تعلمنا فى منهج الاسلام : أن الثابت فى منهجه هو (الذوات) ٠ أما (الأسماء) ٠ فليس لها كبير اعتبار فى منهج الاسلام٠ يقول الله تعالى :" قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى". على معنى : أنه يجوز إطلاق كل مايليق بذات الله من أسماء ٠٠ بجانب الالتزام بما أطلقه هو سبحانه وتعالى على نفسه ٠ وجاء به الشرع عموما ٠٠ وماعدا هذا الاعتبار الشرعى ٠ فالباب مفتوح فى الإطلاق ٠ وإن كان فى دائرة التنزيه والكمال ٠

مايثبت لهذا الواجب
******

الواجب هو : ماكان وجوده من ذاته • ولايقبل العدم أصلا • وهذا التعريف الذى قام الدليل على صدقه • أثبت له بعض الصفات اللازمة لذاته • منها :-

الثابت الأول : القدم.
****

من الثابت للواجب لذاته • أنه قديم أزلى • فلا أول لوجوده• ولم يسبق وجوده بالعدم•

فلو لم يكن قديما لكان (حادثا) يطرأ عليه(العدم) وذلك باطل لأن العدم مستحيل فى حق الواجب • لأن (ذاته) تقتضى الوجود الدائم ولاتقبل العدم أصلا • وبذلك : وجب له(القدم)•

الثابت الثانى : البقاء .
****

ويثبت للواجب(البقاء) وهو : أنه لاآخر لوجوده فلايلحقه العدم والفناء • إذ العدم مستحيل فى حق الواجب فالوجود الواجب • من لوازم ذاته التى لاتفارقها •

وفرض (عدم) وجوده يناقض كونه(واجبا) • وهذا باطل فلو لم يكن الواجب (باقيا) لما كان واجبا • وهذا محال• فثبت له : البقاء •

الثابت الثالث: نفى التركيب .
****

ويثبت للواجب أنه : ليس مركبا • والتركيب هو : التكون من أجزاء

والمركب محتاج الى (أجزاء) والاحتياج من صفات الممكن • فالواجب لايكون محتاجا • فلا تركيب في ذاته •

ألثابت الرابع : نفي الجسمية •

****

ويثبت للواجب نفي الامتداد إذ الامتداد: التكون من أجزاء متجانسة والامتداد يكون في اتجاهات ثلاثة •هي : الطول والعرض والعمق أي الارتفاع •

إذ لو كان الواجب (ممتدًا) للزمه العدم أو التركيب •

فالممتد يلزمه العدم• لأنه يفقد (بالقسمة) وجوده الأول كموجود كلي• مثلما : الخط(الموجود الكلي) يفقد ذاته عندما تقسمه إلى (نقط) صغيرة هي أجزاء الخط •

والممتد يلزمه التركيب لأن القابل للقسمة يكون مركبا والتركيب احتياج • وعليه : فلايكون الواجب (ممتدًا)•

الواجب هو الله تعالى :

رأينا كيف أن الواجب لذاته هو سبب وجود الموجود فهو الذي يعطي العالم سبب وجوده وبقائه على وجوده•

ورأينا كيف ثبت لهذا الواجب • كل كمال يليق بفكرة وجوب الوجود وكونه (العلة الاولى) والسبب الذي ليس فوقه سبب •

ورأينا أن ماثبت للواجب هو أكمل مماهو ثابت للممكنات الموجودة• وكيف : ثبت بالدليل العقلي والبداهة وجود موجود واجب الواجب • ثبت له : القدم والبقاء وعدم التركيب وعدم التجسيم • وأن الكون يحتاج إلى

وجوده وهو فى وجوده لايحتاج إلى الكون ولا إلى غيره .

وهذا (الموجود) القديم الأزلى الأبدى الباقى التى لايشبه الحوادث ، وإنما يخالفها فى كل لازم من لوازمها . وكل لازم من لوازمه .

وهذا (الموجود) أعطى كل شىء (خلقه) أى أعطاه سبب وجوده ثم هداه إلى تتابع العملية الذاتية فيه . وحفظ عليه بقاء علته وسبب بقائه ووجوده .

وهذا (الموجود) هو : الموجود . الخالق . الفاعل : لابد أن يكون (قادراً) وقدرته لاتكون عامة وشاملة إلا إذا كان (واحداً) متفردا بوجود ذاتى لاينازع فى ذاته ولافى مماثلة لذاته . فلو وجد آخر مثله لنازعه كماله وقدرته فلابد أن تثبت له (الوحدانية) .

وهذا الوجود الثابت . لايمكن أن يكون متصفا بالعدم مع كونه (وجودا) فلابد أن يكون وجودا (حيا) وأن تكون له (حياة) مخصوصة تناسب هذا الوجود المخصوص على نحو أبدى سرمدى . فلاتقبل الفناء ولايلحقها العدم الذى يعرض لحياة الممكنات .

وهذا الوجود . هو السبب فى الإيجاد . فلابد أن يكون (عالما) بما يصنعه ويخلقه . فمن المستحيل أن لايدرك العاقل بيننا مايصنعه . فمحال أن لايكون عالما بالموجودات كلها . وهذا العلم . لابد أن يناسب هذا (الموجود) الواجب الوجود وأكمل العلم أن يكون : علما بما كان وماهو كائن وماسيكون .

والسمع والبصر والإدراك . كما فى الممكنات أوجدها هذا (الموجود)

الواجب الوجود ، وفاقد الشيء لايعطيه فلزم أن يكون هذا (الواجب) ذا سمع وبصر وإدراك يناسب كماله الواجب، بعيدا عن فكرة (الجارحة) التي هي من خصائص الممكن.

وهذا الموجود الواجب، هو الله تعالى ، المعبود حقا ، والذي ثبت له كل (صفات الكمال) ، وأنه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، وأنه (الحي الذي لايموت) ، وأن (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ،) وأنه (الأول والآخر) ، وأنه غير محتاج فالناس هم(الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد) ، وأنه(لو كان معه آلهة كمايقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا) ولرأينا إنْ لم يكن(واحداً) كيف يذهب (كل إله بما خلق) ولعلا بعضهم على بعض ، وأنه (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ، وأنه (على كل شيء قدير)، وأنه (قد أحاط بكل شيء علما) ،وأنه(متكلم) فقد (كلم الله موسى تكليما).

وهكذا ثبت أن صفات الله كما وردت فى (الوحى) هى صفات الكمال، والتى أثبتها العقل والبداهة لواجب الوجود ، وبذلك : تعاور النقل مع العقل فى أناة ويسر على : إثبات وجود الله تعالى ، وإثبات صفات الكمال التى تجب لذاته تعالى..،

بســـم اللـــه الرحمـن الرحيـــم

****

((بحـوث عقائديـــــــــــــة))

١ـ قــدم الاسمــاء والصفـــات .

٢ ـ النصوص الموهمة للتشبيه .

٣ـ مشكلة الصفـــــــــــات .

٤ ـ قضية خلـق القــــــــرآن .

٥ـ أفعـــــال العبـــــــــاد .

بسم اللـه الرحمن الرحيـم

****

(قدم الأسمـاء والصفـات)

ينبغي أن تعلم : أن أسماء الله تعالى · وصفاته الذاتية قديمة عند أهل السنة والجماعة ··

مامعنى أسماء الله تعالى ؟··

أسماء الله تعالى · هي : مادلت على الذات مجردة · كالله أومادلت على الذات باعتبار الصفة مثل : القادر والعالم··

المذاهب في الأسماء :

إختلف العلماء في أسماء الله· هل هي قديمة أم محدثة··؟

١- **أهل السنة** : ذهبوا إلى : أنها (قديمة) أيْ : أن الله تعالى قد وضعها لنفسه قبل إيجاد الخلق · ثم ألهمها ملائكته ثم ألهمها الله تعالى · لخلقه من الناس·

وعلى ذلك فليس المراد هنا بمعنى (القدم) : عدم أولية الوجود · وقيل في تعليل قدمها- أيضا- : إن المراد دلالة كلام الله تعالى أزلا على معاني الاسماء ، لأنها لو لم تكن قديمة · للزم أن يكون الله تعالى عارياً عنها في الأزل ·ومفتقراً إلى من يسميه بها ·

دليل أهل السنة :

إستدلوا على ماذهبوا إليه من (القدم) بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :(أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ٠ أو علمته أحداً من خلقك)٠

كما استدلوا على (القدم) بقول الله تعالى :(ولله الأسماء الحسنى فادعوه ٠ وذروا الذين يلحدون في أسمائه)٠

ووجه استدلالهم بهذه الآية : أن الله تعالى أمرنا أن ندعوه تعبداً بأنه " **الله لاإله إلا هو الحي القيوم** " و(**الرحمن الرحيم**) و(**الملك القدوس السلام المؤمن**)٠ ويلزم من كونها مسألة (تعبدية) : أن أسماءه تعالى منه ٠ فهي قديمة ٠

٢ـ مذهب المعتزلة :

يرى المعتزلة أن أسماء الله تعالى وكذلك صفاته حادثة٠ وليست قديمة ٠ فإن الله تعالى كان في (الأزل) بدون اسم ٠ فلما خلق الناس٠ وضعوا له :(الأسماء والصفات) فهي من صنع البشر وليست من الله تعالى ٠ فهي : حادثة٠

وذهبت المعتزلة إلى : جواز أن يثبت لله تعالى كل ماكان متصفا بمعناه ٠ ولم يوهم نقصا في الذات ٠ حتى ولو لم يرد به إذن من الشارع واحتكمت المعتزلة في ذلك إلى : العقل واللغة ٠ فانه إن كان العقل يدل على أن سبحانه وتعالى(عالم) فيجب علينا

أن نسميه نحن(عالما) ٠٠ حتى ولو لم يسم الله تعالى نفسه بهذا الإسم٠

واللغة ليس فيها مايمنع إطلاق هذا الإسم على الله تعالى ٠

وينبغى أن يُعلم أن كون الإسم(قديما)إنما هو باعتبار نسبته إلى ذات الله تعالى ٠ وكونه (حادثا) ٠ إنماهو باعتبار إطلاقنا ونطقنا به وهذا موضع اتفاق بين المسلمين ٠ فأين اذن موضع الخلاف٠٠؟ ٠٠

موضع الخلاف يتعلق فى أمرين دقيقين :

ألأول : هل يمكننا أن نطلق من الأسماء على الله تعالى ٠ غير الأسماء المشتقة من الصفات السبع٠٠؟٠٠

فأهل السنة يرون : أنه لايجوز الإطلاق إلا فى حدود هذه الصفات (السبع) وبما أنها قديمة عندما ينظر فيها اعتبار الموصوف ٠(الله القديم) تكون كذلك هذه الإطلاقات الإسمية قديمة٠

أما المعتزلة فيرون : أنه يجوز الإطلاق الواسع الذى يشمل كل(اسم) يليق بجلال الله تعالى ولايوهم أى نقص فى الذات سواء كان هذا الإطلاق يدور فى دائرة الصفات السبع ٠ أو فى غيرها ٠

ألثانى : هل يتوقف هذا الإطلاق على الإذن من الشارع بذلك٠٠؟٠٠

أهل السنة : يذهبون إلى ضرورة الإذن من الشارع • فلايجوز عندهم الإطلاق بدون إذن الشارع•

وأما المعتزلة : فيرون جواز الإطلاق بلا إذن من الشارع •• مادام في دائرة : اللغة والكمال الواجب للذات•

وقد أثبت الامام أبو حنيفة قدم الأسماء الصفات فقال في: الفقه الاكبر عن الله تعالى (••لم يزل ولايزال بأسمائه وصفاته)(١)

قدم صفات الله :

شغل المسلمون بعد الصدر الأول بموضوع صفات الله تعالى • من حيث الإثبات والنفي•• والقدم والحدوث • والتقرير •• ونعني بالتقرير هنا : محاولة تصوير وتقرير الهيئة أو الكيفية التى عليها الصفات فمن قال بظاهر النص •• قال بهيئة قادته للتشبيه • ومن قال بالتأويل : قال بصفات قديمة متعددة تناسب كمال الذات • ومن استفزه الصراع حول الصفات • ورأى أن كليهما : قد دخل بتقريره في الصفات (دائرة تخدش التنزيه)• فرأى أن من الأليق : أن لايكون للإله • صفة قديمة حتى لايتعدد القدماء • وحتى تغلق الباب أمام دواعي التشبيه والتجسيم وتعدد القدماء••

ورغم الخلاف: فإنهم متفقون على أن الله تعالى قديم • ولايوصف بشيء يجعله مشابها للحوادث أويخل بالتنزية المطلق•

(١) راجع ص٦ من ك (الفقه الأكبر) لابى حنيفة شرح أبى المنتهى المغنساوى طبع الهند سنة ١٣٢١ هـ•

الدليل على قدم الصفـــات :

١) إن صفات الله تعالى قديمة ٠٠ لأنها لو تكن قديمة لكانت حادثـــة .

فيلزم من حدوثها قيام الحوادث بذات الله تعالى٠ وقيام الحـادث

بالذات محال ٠ فثبت كون الصفات قديمة٠

٢) كما أن هذه الصفات تتصف بها الذات قديمة لأن الذات لو لم تتصـف

بها منذ القدم٠ لكانت عارية عنها فى الأزل ٠ ووصف بها بعد ذلـك

وهذا يحتاج الى(مخصص) فى التخصيص بالصفات للذات ويلزم عن هـذا

(افتقار) الذات الى (مخصص) والافتقار احتياج والاحتياج ينافـى:

وجوب الغنى المطلق الواجب لمعنى الذات الإلهية٠

فثبت بذلك أن :ـ

أسماء الله تعالى وصفاته قديمة فى الأزل واختلف فى الإطلاق العام بيـن

أهل السنة والمعتزلة ٠

معنى التوقيف فى الأسمـاء :

ذهب أهل السنة الى أن أسماء (توقيفية) أى : تعليمية ٠ على معنى أنها

تتعلم اكتسابا ويقف عليها الإنسان من لدن غيره فلامجال فيهـا

للاختراع أو الاجتهاد أو القول بالرأى والتوقيف معناه : أن يتوقـف

الإطلاق على تجويز الله تعالى ٠ لهذا الإطلاق ٠٠ وبدون هذا التوقيف ـ

التعليم ـ لايصح الإطلاق ٠ وهذا هو مايعبر عنه : بالإذن من الشارع٠

وأهل السنة بذلك يتوقفون فى الإطلاق حتى يسمع بطريق صحيح أو حسن

أو يتضح الإذن به فما أجازه : جاز • ومالم يجزه : منع وحرم إطلاقه

ويذكرون : أنه لايجوز أن يسمى النبى صلى الله عليه وسلم بما ليس من أسمائه • فمن باب أولى لايجوز تسمية الله تعالى بماليس من أسمائه •

ويؤكدون : أن أي(انسان) من البشر لو سمي باسم ••• لم يسمَّ به من جهة أبيه • لَما ارتضى هذه التسمية •

وبذلك : فلايجوز إطلاق الأسماء والصفات إلا ماوقفنا على الشرع بطريق(السمع) الذى يجب :الاتباع على أى كيفية جاء هذا السمع حتى ولو كان موهماً ••

معنى السمع الموهم : (١)

وردت بعض الألفاظ فى القرآن الكريم توهم النقص فى حق الله تعالى مثل(الصبور) •وهو (يوهم وصول مشقة له• تعالى - وفسره فى - المواقف - بالحليم •وفسر الحليم •• بالذى لايعجل العقاب وهو يوهم تأثراً وانفعالا بالغضب فيكتم • وأما الشكور فقال فى المواقف : المجازى على الشكر . وقيل يثيب على القليل الكثير • وقيل : المثنى على من أطاعه• وهو يوهم : وصول الإحسان له•)(٢)

---

(١) معنى السمع : ماورد به القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة أو الحسنة بخلاف الضعيفةويدخل فيها القياس فى المعتقدات•
أما فى (العمليات) فيتوسع فيها • فيقبل القياس والسنة الضعيفة•

(٢) راجع ص ٩٨ من ك"شرح الأمير" على "الجوهرة" نشر دار الكتب العربية .

ويفهم من الذى أورد شارح (الجوهرة) أن هذه الألفاظ السمعية الموهمة ليست مرادة على حقيقتها- وإنما هى(مؤولة) على (معنى) يناسب التنزيه الكامل لله تعالى . فليس (الظاهر) مراداً ولذلك تجب معرفة : الأسماء والصفات التى يرضى عنها الشرع. حتى لايخطىء المعتقد . فيطلق مالم يرد به الشرع . سواء كان الورود بطريق(النص) فى الكتاب والسنة . أو ورادة بالسمع الحكمى . كالثابت بطريق الإجماع مثل كو ن الله تعالى : الصانع . والموجود والقديم ويمكن أن نعتبر منه الإطلاق الفلسفى على الذات القائل إنه:(واجب الوجود).

وقد جمع صاحب الجوهرة هذه المعانى فى قوله :

واختير أن أسماءه توقيفية

كذا الصفات فاحفظ السمعية

ويجدر بنا:أن نقف على بعض التفصيل فى (مشكلة الصفات) . حتى نكون على بينة منها دون الولوج فى بيان الصفات لندرك أن هذه المشكلة لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإنما هى (مشكلة) لم تنشأ بين المسلمين بسبب الضرورة العقائدية . أو لحاجة المسلمين إليها .. فإنها لو كانت ضرورية لأظهرها وبينها (الوحى) الذى كان ينزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وكذلك لو كانت لازمة للاعتقاد أو لصحته . أو كان يحتاجها (المسلم) لذهب إلى الرسول الكريم يسأل عنها . كما كان يذهب ليسأل عن صحة دينه فى كل المسائل والقضايا . إبتداء من السؤال عن : الروح .. وانتهاء

بالسؤال عن : المحيض ...

ولكن الثابت أن (الوحى) لم يتحدث عن موضوع الصفات . وأيضـــا :
لم ينقل لنا أن أحد الصحابة : سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن معنى
الصفات وهل هى قديمة أم حادثة . وهل يوجد صفات للذات وأخرى للأفعال
... إلـــخ. هذه التفريعات التى جدّت واستحدثت فى المحيط الاسلامى
بدافع إذا أردنا أن نصفه ونكيّفه بموضوعية فلن نجد أمامنا سوى أن نذكر :
أنه ما أنزل الله بها من سلطان . وما للمسلمين بها من حاجة.

ومن أراد أن يتلمس سبب النشأة فإنه سيجد بصمة الأصابع (السياسية)
بصفة عامة و (اليهود) بصفة خاصة ..

وهذا يجعلنا نخوض فى هذه المشكلة بحذر هذه (الرؤية) .. وهـــذا
يوجب علينا أيضا : أن توضّح المذاهب فى مشكلة الصفات على الصـــورة
التى توضّح أنها (جهود) علماء حول المشكلة .. لاقواعد (وحى) فـــى
(عقيدة) ...

النصـــوص الموهمـــة للتشبيـــــة

******

علمنا بالدليل : أن الله سبحانه وتعالى مخالف للحوادث وأنه(ليـــس كمثله شيء) ..

وعليه : لو ورد (نص) من الكتاب أو السنة . يوهم (ظاهره) مماثـــلة (الذات) للحوادث .وجب (تأويله) أى : حملة على غير الظاهر منـــه. مع بيان المعنى الذى يليق بالذات الإلهية.

ومن لم يشأ أن يقوم بهذا (التأويل) فليفوض الأمر لله تعالــــى .

وتجدر الإشارة هنا إلى المراد (بالنص) هو الدليل الوارد من القــرآن والسنة فى مقابل الدليل الوارد من القياس والاستنباط والإجماع.

والتأويل نوعـان :

ألأول : تأويل إجمالى : وهو صرف اللفظ عن ظاهره الموهم مشابهة الله تعالى للحوادث .

ألثاني: تأويل تفصيلى . وهو صرف اللفظ عن ظاهره مع بيان المراد من النص . من معنى : بقدر الطاقة البشرية.

متى اتفق السلف والخلف فى التأويـل ؟

السلف والخلف اتفقوا على وجوب التأويل الإجمالى للّفظ الموهـــم لأنهم متفقون على وجوب صرف اللفظ الموهم عن ظاهره المحال فى حـــق الله تعالـى..

متى اختلف السلف مع الخلف حول اللفظ الموهم ؟.

إختلف السلف مع الخلف فى مسألة (تعيين) المراد من ذلك النص و(عدم التعيين) ومحور (الخلاف) هو (الاختلاف) على الوقف فى قوله تعالى :(ومايعلم تأويله الا الله) أو على الوقف فى قوله تعالى : (والراسخون فى العلم) •

فقد وقف السلف على قوله(ومايعلم تأويله إلا الله)

وقوله (والراسخون فى العلم) إستئناف••

ولذلك : كان مذهب السلف : التفويض••

أما الخلف فقد وقفوا على قوله تعالى: (والراسخون فى العلم) فيكون معطوفا على لفظ الجلالة•

ولذلك : كان مذهب الخلف : تعيين المراد من النص •

ويقال : إن مذهب السلف : أسلم خشية الوقوع فى تعيين معنى غير مراد لله على الحقيقة • حيث إن التعيين من قبيل الاجتهاد •

ويقال : إن مذهب الخلف : أعلم وأحكم • لأنه موضّح ويرد على الخصوم مثل : المجسمة•• الذين قالوا : إن الله على صورة شيخ أو شاب جميل. •• تعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً •

وسنورد تفصيلا لهذه المشكلة فى إطار (مشكلة الصفات)•

مبحث
مشكــلة الصفــات

أهمية دراسة مشكلة الصفـات .

تعتبر مشكلة الصفات الإلهية من أهم المشكلات التى انبرى لهـــا علماء التوحيد (الكلام) لتوضيحها وبيان موقف العقيدة الاسلاميةمنها • خاصة وأنها ترتبط بفكرة (تأويل) النصوص أو (التوقف) فى تأويلها ••• وتربط - أيضا - بمشكلة : خلق القرآن••

وهذه المشكلة لم تبرز فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على الصورة التى نبحث فيها الآن•

وقد أثبت العلماء لله تعالى من الصفات مايليق بذاته تعالى• وقـد انتظمت على النحو الآتــى :-

١) صفات الذات •   ٢) صفات الافعال .

أولاً: صفات الذات : وهذه الصفات تنقسم إلى الصفات الآتية :

أ- صفة نفسية : وهى (صفة الوجود) فقط •

ب- صفات سلبية: وهى التى تسلب عن الذات الإلهية مالايليــق• وهـــى: خمس صفات : ألقدم - ألبقاء - ألمخالفة للحوادث - ألقيــــام بالنفس - ألوحدانية • فكل صفة من هذه الصفات تسلب عن الله تعالـــى (نقيضها) وهو نقيض لايليق بكمال الله تعالى •

ج - صفات المعانى : وهى التى تثبت لله تعالى كل كمال يليق بذات اللــه تعالى• وهذا النوع سبع صفات هى :-

ألقدرة - ألارادة - ألعلم - ألحياة - ألسمع - ألبصر - ألكلام - ويضيف الماتريدية صفة (ثامنة) هى(التكوين) فوق هذه السبع التى يثبتها الأشاعرة . وسنولى هذه (النقطة) مزيد عناية فى هذا البحث .

د - صفات معنوية : وهى مشتقة من صفات المعانى . فهى سبع صفات هى:

كون الله تعالى قادراً . وكونه مريداً . وكونه عالماً . وكونه حياً . وكونه سميعا . وكونه بصيراً . وكونه متكلماً ..

أولا : صفات الذات :

****

موقف السلف من مشكلة الصفات :

جاء الاسلام بدعوة التوحيد . وعبادة (إله) أثبت له من (الصفات) ما استقر عليه صدر المسلمين. واطمأنت النفوس بصفات إلهية مذكورة فى القرآن الكريم . وفى كلام النبى صلى الله عليه وسلم،

وظلت هذه الصفات على هذا الوضع العقائدى .. واتخذت مصدر تعبد لله تعالى لدى المسلمين . واتخذوها أذكاراً . ونصوص أدعية وبذكرها اطمأنت قلوبهم .

تقرير مذهب السلف :

يثبت السلف لله تعالى كل كمال يليق بذاته.

يقول ابن تيمية :(وأما إثبات الصفات له لله تعالى- وأنه يُرى فى الآخرة . وأنه يتكلم بالقرآن وغيره . وكلامه غير مخلوق ....

فهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف)[١]

ويقول الشهرستاني :

(إعلم أن جماعة كثيرة فى السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والانعام والعزة والعظمة . ولايفرقون بين صفات الذات وصفات الأفعال . بل يسوقون الكلام سوقاً . وكذلك يثبتون : صفات خبرية. مثل الوجه - اليدين .. قد وردت فى الشرع ونسميها «صفات خبرية»

ولما كان المعتزلة ينفون الصفات . والسلف يثبتون سمى السلف : صفاتية ... والمعتزلة : معطلة)[٢]

ونستطيع من هذا أن نقف على مذهب السلف فى الصفات وأنهم :

(١) يثبتون لله تعالى. صفات أزلية أتى بها الشرع .

(٢) أنهم لم يعرفوا التفرقة التى وجدت - فيما بين صفات الذات ، وصفات الافعال.

(٣) أنهم لايؤولون النصوص الواردة التى تثبت لله صفة . لأن الشرع أتى بها . ويذكرون أن التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه (ليس كمثله شيء) وهذا قمة التنزيه .(وكان كثير من علماء المسلمين فى ذلك العصر . يؤمنون بالتنزيه إيمانا إجماليا ويمسكون عن الكلام فى الآيات الآخرى . كآية الاستواء على العرش والوجه . واليدين . والجهة

---

(١) راجع ص٢٢٦ من ك (إبن قتيبة) للدكتور عبد الحميد سند الجندى.

(٢) راجع ٨٤ ج١ من ك (الملل والنحل) تخريج الدكتور محمد بدران .

ويقولون : إننا نؤمن بوجود الله ووحدانيته· ولانذهب وراء ذلك · لأنه لايجب علينا أن نعرفه · وإنما يجب علينا أن نؤمن كما ورد · وإننا إذا دخلنا في تفصيل ذلك وتأويله · كان تأويلنا - هو- : قولنا لاقول الله· وهو - أي قولنا - عُرضه للخطأ · فيجب أن نتحرز منه)[1]·

وإذا كان هذا مسلك السلف فهل ظلوا على هذا ··؟ ··

نعم · ظل السلف على هذا المنهج (فترة) فوقفوا على الظاهر دون تأويل للآيات · فلم يتعرضوا للتأويل ولاتهدفوا للتشبيه · وعلى رأس هؤلاء ، الإمام (مالك بن أنس) ت١٧٩ هـ· رضي الله عنه · فقال ورد عنه قولته : "الإستواء معلوم والكَيْف مجهول · والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"

وعن الشافعي رضي الله عنه ورد : (آمنت بلاتشبيه وصدقته بلا تمثيل· واتهمت نفسي في الإدراك· وأمسكت عن الخوض غاية الإمساك)

وعن أحمد بن حنبل رضي الله عنه ورد (إستوى كما ذكر لاكما يخطر للبشر)·

متى بدأ التأويل لدى السلف··؟··

لاحظنا منهج السلف في (التأويل)·وأنه (التوقف)· وهذا المنهج هو أساس كثير من الآراء والمذاهب·

وأعتقد أن فكرة (التوقف) بدأت تأخذ شكلا واسعاً فلم تعدْ تلك الكلمة (الصارمة) · بل شعرنا بنوع من (الملاينة) في منهجها ·

(١) راجع ص٨٥ ج ١ من ك (الملل والنحل) للشهرستاني·

لوحظ ذلك من (قولة) الإمام مالك رضى الله عنه.

الإمام مالك والتوقف :

إشتهر الإمام مالك بأنه أول من أعلن (التوقف) وصيّره مذهبـــــا ونحن نلاحظ على(قولة) الامام مالك : أنه خرج بها على تقاليد (التوقف) وأنــه ـ فى الحقيقة ـ قد خطى خطوة هائلة نحو (التأويل) وخلع ثـــوب (التوقف) برفق وذكاء ـ والرفق والأناة والذكاء صفات شخصية لــلامام مالك ـ ولكنه لم يكمل الطريق (التأويلى) إلى(نهايته) . وقد يكــون ذلك منه ثقة منه أن ما يمكن أن نسميه بلغة عصرنا (الرأى العـــام) لم يكن مهيئا لمثل (القول الكامل) أعنى : التأويل الصريح ... فـــى هذه المسألة . خاصة من الامام مالك بالذات.

بادرة التأويل عند مالك :

إننا نلمح من قوله (والكيف مجهول) . أن مالكاً يكاد يقـــول: الاستواء المعلوم وهو الجلوس المادى ليس مراداً . وإنما هو أمـــر لانعلمه . وبذلك صرف(مالك) اللفظ عن (ظاهره) وماهو التأويل : هو صرف اللفظ عن ظاهره بسبب أو لأسباب أو لدواعى مراده.

وهذا منه نعده نحن : من التأويل الإجمالى . وإذا لم تكن هـــذه منه (بادرة) تأويل ..؟..

أيمكن ان نعدها من قبيل (التوقف) التام ..؟.. لاأظن ذلك.. . وطالما اهتز (التوقف) الكامل.. إذاً يتضح وجود (ما) لفكـــرة

(التأويل الاجمالى) ٠

ونحن لانرجّى من هذا إثبات (التأويل) فى منهج السلف فيما بعد .

فقد ثبت هذا بوضوح عند كثير من علماء السلف٠

وفى ذلك يقول الشهرستانى :

(٠٠ حتى انتهى الزمان إلى : عبد الله بن سعيد الكلاّبى وأبى العباس القلانسى٠٠ والحارث بن أسد المحاسبى ٠٠ وهؤلاء كانوا من جملة السلف٠ إلا أنهم باشروا (علم الكلام) وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية)(١)

ويؤكد أحد الباحثين المعاصرين أن هذا الاتجاه ـ أعنى : الذى حكاه الشهر ستانى ـ هو الاتجاه الذى لوحظ عند السلف .(٢)

الخلاصة :
****

درج المسلمون فى الصدر الاول على التسليم بما جاء فى الكتاب والسنة ٠ فيما يمس (الصفات الآلهية) وغيرها ٠ وكان التوحيد الخالص عقيدتهم ٠ وكان (التنزيه) هو الذى يحدد فهمهم لعقائد الدين٠ ولذلك لم نشهد لدى (السلف) ذلك (الجدل) فى العقائد على النحو الذى لوحظ ـ فيما بعد ـ لدى الأشاعرة والمعتزلة٠ ومن سلك مسلكهم٠

ويمكن هنا إبراز مايأتى :-

١) مشكلة الصفات الإلهية لم تكن موضع خلاف فى عهد الرسول صلى

(١) راجع ص٨٥ ج١ من ك (الملل والنحل) ٠

(٢) يراجع تفصيل ذلك فى (مقدمة كتاب" مناهج الأدلة ") لابن رشد ٠ تحقيق الدكتور محمود قاسم ٠ نشر الأنجلو٠

الله عليه وسلم.

٢) مشكلة الصفات الإلٓهية . لم يختلف فيها الصحابة . بل ولم يؤثر عنهم فيها (تأويل).

٣) مشكلة الصفات الإلٓهية . موضع خلاف بين كبار الأئمة مثل: (مالك - الشافعي - أحمد بن حنبل).

لِمَ لَمْ يختلف الصدر الأول في الصفات : ؟.

لقد كان لدى المسلمين مايشغلهم من أمور الدين وجمع القرآن الكريم. وتدوين السنة الشريفة. والفتوحات الاسلامية لنشر الدعوة إلى دين الله. وهذا وغيره : جعلهم لايلتفتون إلى هذا " الجدال" في العقائد . وكانوا إذا وجدوا " آيات" قرآنية تكاد تنسب إلى الله تعالى بعض الصفات التي تتنافى مع فكرتهم الخالصة عنه .أو تخدش معنى التوحيد والتنزيه . مثل : نسبة اليد والوجه.. لم يحاولوا تأويلها مع انعقاد الإجماع لديهم على أنها : لايجوز ان يكون المراد منها هو : ظاهرها. إذ ليس من الواجب فَهْم (الآي) على (حرفيته). فالله سبحانه وتعالى ليس جسماً . ينسب إليه ماهو(مادي) .

ورغم هذا الفهْم منهم . فإنهم كانوا يؤثرون عدم الخوض في تفسير هذه النصوص(. فيفوضون) المراد منها إلى الله تعالى بعد تنزيهه عن (مشابهة) بينه وبين الإنسان **وهو المطلوب**.

وكان (العمدة) لديهم في تنزيههم الخالص وتقديسهم للذات العلية

قوله تعالى : " ليس كمثله شيء " [١] إذ لايجوّز العقل أن يكون هناك وجه (مماثلة) بين الخالق والمخلوق. ولذلك فإنهم يعدون قول الله تعالى :" أفمن يخلق كمن لايخلق "[٢] (برهاناً) على استحالة المماثلة بين الله والانسان.

ولو أن السلف إلتزموا وظلوا متمسكين بهذا المنحنى الطيب . والذى قام على التفرقة الواضحة بين عالم الغيب وعالم الشهادة لكان هذا الالتزام خيراً لنا ولهم. ولما ظهرت فى المحيط الاسلامى (بدعة الصفات) بارزة على سطح الفكر الاسلامى .[٣]

سبب تشعب المذاهب فى الصفات :

يمكن إجمال حركة الفكر الاسلامى الذى أدى إلى بروز (مذاهب واتجاهات) فى (الصفات) على النحو الآتى :-

١) جاء الاسلام وبالقرآن الكريم صفات الله تعالى تلقاها السلف بالقبول والتعبد .

٢) لم يؤول السلف. بل فوضوا (النصوص) والمراد منها لله تعالى.

٣) لم يفوض البعض . بل تمسك بالظواهر وأدى هذا التمسك بظاهر النص .. إلى القول : بصفات تشبه صفات الإنسان وغالوا فى

---

(١) سورة الشورى ١١.

(٢) سورة النحل ١٧.

(٣) راجع ٣٦ من ك (مناهج الادلة)تحقيق الدكتور محمود قاسم.

تشبيههم حتى نسبوا إلى الله تعالى : صفات كصفات الحوادث فلقبوا (بالمشبهة) . لأنهم شبهوا الخالق بالمخلوق.

٤) شاهد على الصعيد الاسلامى . بعض أصحاب الفكر والاتجاه العقلى هذا (الغلو) فى التشبيه . فحاربوه بلا هوادة. ولكنهم فى حربهم ومقاومتهم للتشبيه . وقعوا فى خطأ (المغالاة) فقد (غالوا) ايضا : فلم (يثبتوا) لله أى (صفة) من صفاته وهم المعتزلة . ولقبوا (بالمعطلة).(1)

٥) ظلت مشكلة الصفات فى المحيط الاسلامى بين(تغالى المشبهة) وغلوّ (المعطلة) . حتى ظهرت الأشعرية فكان المذهب (الوسط) بين الغلو والتغالى . وعاصر الأشعرية الماتريدية . فاسهمتا بنصيب وافر فى هذه المشكلة - كما سيجيء .

٦) بينما الآراء تتلاحى بين الغلو والتغالى بين المشبهة والمعطلة وبعض المفوضة ... إلتفت الناس إلى صوت هادىء رقيق جاء على رأس القرن الثانى الهجرة . قبل الأشعرى والماتريدى. بقرنين من الزمان. هذا الصوت المدرك لحقيقة المشكلة هو : صوت الإمام الأعظم(أبى حنيفة النعمان) رضى الله عنه . فقد أدلى (أبو حنيفة) بدلوه فى مشكلة الصفات . وقد وصلنا رأيه محفوظا فى كتبه الكلامية مشروحا بمناهج الشراح الأحناف ممايدل على تلقية بالقبول. ونتج

---

(1) تجدر ملاحظة:أن صفة(الوجود).وهى الصفة النفسية الوحيدة لم يدر عليها الخلاف.فالكل يُقرّبها.بلا نزاع.وإنما الكلام فى: صفات المعانى والمعنوية ..إلخ هذا عند متقدمى الاعتزال..

عنه (المدرسة الماتريدية) التي ألهمت الفيلسوف الأندلسي(إبن رشد) بمذهبه في تقرير العقائد بصفه عامة والصفات بصفة خاصة والذى وضح في كتابه (مناهج الأدلة)٠

وبعد أن عرضنا اتجاه السلف في الصفات ٠ للاستئناس به في فهم تطور مشكلة الصفات في المحيط الاسلامي ٠ يجدر بنا أن نعرض للمذاهب الآتية في الصفات :

أولا : مذهب المشبهة في الصفات :

[illegible] قسم :

[illegible] التفويض) وقالوا : نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولانتعرض للتأويل ٠ وقد استدلوا على (التوقف) بقول الله تعالى :-

(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب٠ وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ٠ ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب)(١)

فقد رأوا أن الوقف في الآية على قوله (ومايعلم تأويله الا الله)، فتعيّن أن ينفرد الله بهذا التأويل٠

وأيضا استدلوا على التوقف بقولهم : إن التأويل أمر مظنون بالاتفاق ٠ والقول في صفات البارى بالظن غير جائز ٠ وربما أوقعنا التأويل في (الزيغ) بل نَقُلْ كما علّمنا ربنا أن نقوله : (آمنا به كل

---

(١) سورة آل عمران : ٧

من عند ربنـــا)٠

وقد ذكرت هنا هذا التقرير لمذهب السلف ٠ ليتضح لنا الفـــرق بينه وبين (المشبهة) ٠

تقرير مذهب المشبهة فى الصفـــات :

سرعان ماذاب التفويض كمذهب عام للمسلمين ٠ فقد وجدنا جماعة من أصحاب الحديث الحشوية ٠ وجماعة من الشيعة الغالية قد صرحوا : بالتشبيه ٠ مثل الحشوية ٠ من الشيعة ومثل : مضر وكهمس وأحمـــد الهيجمى ٠ وغيرهم من **الهشاميين** قالوا : إن معبودهم على صـــورة ذات أعضاء وأبعاض ٠ إما روحانية وإما جسمانية ٠ ويجوز عليـــه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن ٠(**تعالى الله عن ذلـــك** علوا كبيـرا)٠

وحكى **الأشعرى** : إن هؤلاء قد أجازوا على ربهم : الملامســـة والمصافحة ٠ وأنهم يرون أن المسلمين المخلصين : يعانقونه فى الدنيا والآخرة ٠ إذا بلغوا من الرياضة والاجتهاد حدّ الإخلاص وحكى الكعبى : أن بعضهم جوز الرؤية فى دار الدنيـا[1] ٠ وأكثر هذه الأقوال ـ كما يذكر الشهر ستانى ـ (مقتبسة من اليهود ٠ فإن التشبيه فيهم طباع)[2]

وأما ماورد فى القرآن الكريم من آيات مثل (الرحمن على العـــرش استوى)[3] ٠ ومثل (ويبقى وجه ربك)[4] ومثل (يد الله فـوق ايديهم)[5]

---

(١) راجع ص٩٤ ج١ من ك (الملل والنحل) للشهر ستانى ٠
(٢) راجع ص٩٧ من المصدر السابق ٠ (٣) طـه ٦ ٠
(٤) الرحمن ٢٧ ٠ (٥) الفتـــح ١٠ ٠

ومثل (وجاء ربك والملك صفاصفا)[1]

فإن المشبهة أخذوها على ظاهرها بمعنى : أنهم أخذوا المعنى الذى يتبادر عند الإطلاق على الأجسام الحادثة .[2]

الكرامية والتشبيه :

أعتقد أنه يصح هنا ذكر مذهب (الكرامية) باعتبارهم قالوا بصفات الله تعالى . وقادهم هذا (الإثبات) إلى : التجسيم والتشبيه فكانوا من (المشبهة). والكرامية هم أصحاب (محمد بن كرام) ت٢٥٥ هـ وهو امتداد للتيار التشبيهى الذى لوحظ عند (مقاتل بن سليمان ت١٥٠ هـ)

تقرير مذهب الكرامية :

يقول ابن كرّام: (إن معبوده على العرش استقراراً وأنه بجهة (فوق) ذاتاً . وأطلق عليه اسم الجوهر . وجوز ابن كرام على الله تعالى الله عن ذلك : الانتقال والتحوّل والنزول)[3]

وهذا مذهب فاسد مقتبس من اليهود . المحرّفين . وهو بعيد عن التنزيه . ويثبت لله تعالى مالايليق به ويعطل معنى الآية الكريمة (ليس كمثله شيء).

---

(١) الفجر ٢٢ .

(٢) راجع ص ١٥٢ من ك مذكرة التوحيد للشيخ محمود ابو دقيقة .

(٣) راجع ص ٢١٤ من ك (التجسيم عند المسلمين) للدكتورة سهير مختار .

وهو مذهب يشير الى وجود مشكلة الصفات وخطورتها . وكيف تسبب فى وجودها (عقول) تصف الله بمالايليق . وهى تحسب أنها تحسن صنعاً وقد تكون لها (نوايا وخبايا) من وراء هذه المذاهب الشاذة.

نقد التشبيه :

إذا أردنا أن (ننقد) هذا المذهب فإنه يجدر أن نتجه إلى (أقدم) رد فى محيط علم الكلام وجّه إلى مذهب (المشبهة) بصفة عامة.

وإذا توجهنا إلى كتاب (الفقه الاكبر) لأبى حنيفة باعتباره أقدم الكتب الكلامية التى وصلتنا . فماذا نجد .. ؟ خاصة وأنه كان يعاصر (مقاتل) أول المشبهة فى الاسلام.

أبو حنيفة يرد على المشبهة :

فى الفقه الاكبر يقول أبو حنيفة : (من قال لاأعرف الله أفى السماء أم فى الأرض فقد كفر) [1] لأنه لديه بهذا القول يوهم أن يكون له مكان فكان مشركا . فلا تتصور (الأينية) أى السؤال بأين إلا فى الحادث.

ويقول شارح الفقه الاكبر : (**قالت الكرامية والمشبهة بأن الله على العرش علواً مكانيا ممكناً .. وأن العرش له مستقر . ويصفونه بالنزول والمجئ والذهاب . ويقولون هو : جسم لا كالاجسام . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ...)**

---

١ ص ١٦ من ك (الفقه الاكبر) طبعة الهند .

واحتجنا - الكرامية والمشبهة - بقوله تعالى :(الرحمن على العرش استوى) إلا أننا نرد عليهم فنقول :

إن العرش لم يكن فكان بتكوينه • فلايخلو إما أن يكون (كونه) لإظهار عظمته وجبروته على خلقه وإما لاحتياجه إلى القعود عليه•
ولايجوز أن يقال : لاحتياجه إلى القعود عليه • والمقهور لايكون أمبرا فكيف يكون إلها • فإذا بطل هذا الوجه• صح الوجه الأول وهو (كونه) لإظهار عظمته وجبروته على خلقه ولاحاجة له إليه)(١)

وهكذا وضع فساد مذهب (المشبهة) في الصفات • وأن الله تعالى منزه عن كل مايقولون • فهو خالق الكل من غير احتياج•

ثانيا : مذهب المعتزلة في الصفات :

تقرير المذهب : ذكر البغدادي عند ذكره لفرق الاعتزال أنه يجمعها أمور، بدأ بأظهرها هي : نفيهم للصفات وعدّ ذلك (بدعا) لهم • وقال (ومنها نفيها - أي المعتزلة - كلها - أي جميع فرقها - عن الله عز وجل صفاته الأزلية وقولها : بأنه ليس لله عز وجل علم ولاقدرة ولاحياة ولاسمع ولابصر ولاصفة أزلية • وزادوا على هذا بقولهم : إن الله تعالى لم يكن له في الأزل إسم ولاصفة ••)(٢)

ويزيدنا الشهر ستاني توضيحا لمعتقد المعتزلة في الصفات بقوله : (والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد : القول بان الله تعالى قديم

(١) راجع ص ١٦ من ك الفقه الاكبر •

(٢) راجع ص١١٤ من ك(الفرق بين الفرق) للبغدادي•

والقدم اخص وصف ذاته . ونفوا الصفات القديمة أصلا . فقالوا: هو عالم بذاته . لانه لو شاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص الوصف لشاركته فى الألوهية ... وسموا هذا النمط : توحيداً)[1]

وهكذا نفى(المعتزلة) الصفات الإلهية بإطلاق وقد دار نفيهم للصفات على محورين :

الأول : أننا لو أثبتنا لله تعالى بعض الصفات فلابد أن تكون (قديمة) وهذا يجر إلى القول (بتعدد القدماء) إذ ستصير (ثمانية) قدماء هى : الوجود والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام والحياة. وقد كفر النصارى بقولهم (بثلاثة قدماء) فمابالنا بثمانية قدماء .!..؟..

الثانى : أن هذه الصفات إما أن يكون الله تعالى محتاجاً للاتصاف بها . أو غير محتاج.. وبطل الاحتياج لأنه نقص والنقص محال على الله تعالى وبقى عدم الاحتياج إلى هذه الصفات . فيكون (الوصف) مع عدم الاحتياج (عبث) فى جانب الله تعالى . خاصة وأنه لم يرد من الشارع مايوجب وصف الله تعالى بهذه الصفات .

ويمكننا فى ضوء رحابة الاسلام أن نتلمس لمنكرى الصفات العذر فى هذا الغلو فى الإنكار . فنذكر أنه : ربما قد دعاهم إلى هذا القول ماشاع فى عصرهم من ذهاب قوم الى (تجسيد) الله تعالى وتشبيهه بالمخلوقات بوصفه بصفات كصفات المخلوقين مثلما ذهب إليه (مقاتل بن سليمان ١٥٠ هـ) الذى عاصر (واصل بن عطاء) شيخ المعتزلة

---

(١) راجع ص٤٩ ج ١ من ك (الملل والنحل) .

وما أجدر هؤلاء وهؤلاء (المنكرين والمجسمين) أن يتركوا البحث في أمر صفات الله ، وأن يسلموا بها تسليما يرتضيه العقل.(١)

ولم نجد من بكّر بالتضلع بمهمة الدلالة على مذهب في الصفات..
لايذهب مذهب التشبية أو التجسيم ولايذهب مذهب الإعتزال في الإنكار بإطلاق سوى الامام (أبي حنيفة) الذي سبق الأشعري بحوالي (قرنين) من الزمان ،

فقد نقد أبو حنيفة ، ماذهب إليه كليهما ،

نقد أبي حنيفة لمذاهب الصفات :

يقول أبو حنيفة : (أفرط جهم) في نفي التشبيه ، حتى قال : إنه تعالى ليس بشيء ... وأفرط مُقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه)،

ثالثا : مذهب التوسط في الصفات :

ونعني بالتوسط في الصفات ، ذلك المذهب الذي لم يذهب إلى الإثبات بإطلاق كما ورد بظاهر النصوص ، كما أنه لم ينف بإطلاق وإنما أثبت (المعنى)،

وهؤلاء الذين توسطوا هم أهل السنة والجماعة وقد قام مذهبهم

(١) راجع ص٣٩ من ك (مناهج الادلة) لابن رشد، تحقيق الدكتور محمود قاسم ، وص ٧٦ ج ٤ من ك (ظهر الاسلام) الدكتور أحمد أمين.
ويراجع ك (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده،

فى الصفات على أمريــن :ـ

١) إنكار التشبيه الوارد من ظاهر النصوص حتى يمكن أن يتحقق قـــول الله تعالى (ليس كمثله شىء)٠

٢) إثبات (المعنى) الوارد فى (تنزيه) الله تعالى ٠ والذى تمثـــــل فى إثبات (عدة) معان أسموها (الصفات) ومن هنا يمكن أن نفهـــم معنى نسبة (صفات المعانى)٠

ونحن هنا سنذكر أول ماوصلنا فى كتب الأقدمين معبراً عن مذهـــب أهل السنة والجماعة ٠ ثم نذكر المذهب الذى اشتهر عنه أنه عنـــوان (أهل السنة)٠

مذهب أبى حنيفة فى الصفات :

يجب أن نعلم أن أبا حنيفة : أول متكلم يطالعنا فى نطاق البحـــث فى (صفات الله تعالى) وقد لمس بذكاء التفرقة بين : صفات الـــذات وصفات الأفعال٠

مذهبه العام فى الصفات :

ويذكر أحد الباحثين أن أبا حنيفة قد سبق الأشاعرة والماتريديـــة إلى تحديد الصفات الذاتية بسبع صفات ٠ وأنه أول من ميّز بين الصفات الفعلية والذاتية ٠(١)

---

(١) راجع ص ٢٤٢ من ك (نشأة الآراء والمذاهب الكلامية) للدكتور يحيى هاشم فرغل٠

وبذلك يظهر أن أبا حنيفة ٠ هو القائل بأن الصفات (سبع) صفات،وقد عدّها كما هي عليه الآن ولاندرى لِمَ لَمْ تُنسب هذه (السبع) إليه ٠ رغم أنها لم ترد إلينا فى كتاب قبل كتابه (**الفقه الأكبر**)

تقرير المذهب : تنقسم الصفات الى:-

أ - ذاتية ٠ ب - فعلية ٠

أ - الذاتية :

ألصفات الذاتية عند أبى حنيفة هى سبع صفات هى : الحياة - القدرة العلم - الكلام - السمع - البصر - الإرادة٠

ب - ألفعلية :

ألصفات الفعلية عند أبى حنيفة غير محصورة فى عدد ٠ ويقول فى الفقه الاكبر: (لم يزل ولايزال بأسمائه الذاتية والفعلية أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة ٠ وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع٠ وغير ذلك من صفات الفعل)(١)٠

ويقول أبو حنيفة فى تقرير مذهبه فى الصفات :

(لم يزل عالما بعلم ٠٠ والعلم صفة فى الأزل وقادراً بقدرة٠٠ والقدرة صفة فى الأزل ٠٠ وخالق بتخليق ٠ والتخليق صفة فى الأزل٠ وفاعلا بفعل والفعل صفة فى الأزل٠٠ والمفعول مخلوق الفعلغير مخلوق)(٢)

(١) راجع ص ٦ من ك (الفقه الاكبر) طبع الهند سنة١٣٢٦ هـ.
(٢) راجع ص ٨ من المرجع السابق٠

وبذلك يظهر مذهبه من الصفات على النحو الآتـــى :-

١) **أبـو حنيفـة :** أثبت الصفات لله تعالى كلها سواء كانت صفـــات ذات أو صفات فعل وهى عنده : قديمة أزلية ٠

٢) **حدد** أبو حنيفة العلاقة بين الصفة والموصوف بتحديد التنزيـــه الكامل لله سبحانه وتعالى ٠ فيقول عن الذات الآلهيـــة :

(لايشبه شيئا من الأشياء من خلقه ٠ ولايشبهه شيء من خلقـــه)

وبذلك (حلّ) أبو حنيفة المشكلة التى وقع فيها (المعتزلـــة)٠ المعاصرون لأبى حنيفة ٠ وأيضا وقع فيها من لم يلتفت إلى هـــذا (الحل) الحنفى ٠ ومنهم (الأشعوى) الذى لاندرى لِمَ (تغافـــل عن هذا الحل . ؟

مذهبه فى صفات الافعال :

وضح مذهب أبى حنيفة العام فى الصفات : أنه مثبت لله تعالـــى (صفات الأفعال)وهى عنده (قديمة) أزليـة٠٠

وهذا المذهب هو الذى (هيأ) المناخ العقلى للماتريدى - فيما بعد - أن يعلن : أن صفات الأفعال ينظمها : (قدرة كائنة) فى قوله تعالـــى: (كن فيكون) وأُطلق على هذه القدرة الكائنة (صفة التكوين)٠

تقرير مذهب أبى حنيفة فى صفات الافعال :

عندما قال أبو حنيفة بقدم صفات الأفعال ٠ لم يحددها لأنهـــا عنده :دائرة فى مجال : (الأثر والمؤثر) ٠ وآثار الله تعالى كثيرة٠٠

يقول أبو حنيفة فى (الفقه الأكبر) :

(وصفاته فى الأزل غير محدثة ولامخلوقة ومن قال إنها : مخلوقة أو محدثة . أو توقف أوشك فهو كافر بالله تعالى).

أبو حنيفة متشدّد فى الصفات :

وهكذا نجد أن أبا حنيفة يؤكد قدم الصفات وثبوتها ذاتية كانت أو فعلية . ورغم سماحته وصفوه . ووداعة مذهبه فى الأصول والفروع. فإننا - هنا - نلمس حزماً شديداً . يبلغ درجة التشدد فى المذهب . ونلمس : قوة الفُتْيا فى حكمه على الذين يذهبون فى الصفات مذاهب تحيد بهم عن منهج أهل السنة .

إن أبا حنيفة يعمّ بالكفر كل مَنْ :

أ - قال إن صفاته مخلوقة أو محدثة .

ب- كل من توقف فى الحكم على صفات الله تعالى . هل هى مخلوقة أو غير مخلوقة .

جـ - كل من شك فى الصفات . هل هى محدثة. او مخلوقة . بطريق الشك.

وهذا الجزم من أبى حنيفة يوضح بجلاء مذهبه فى الصفات .. وأنه يقول بها .

ولكن كيف يَفْهم أبو حنيفة معنى (الصفة) ..؟ ..

إن أبا حنيفة فى بيان معنى الصفة يُعد من المتوقفين لافى الإثبات

ولكن في التفسير والتأويل ..وهذا هو (مذهب السلف في الصفات)..

يقول أبو حنيفة في بيان معنى التوقف عنده :

(فيما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس . فهو له صفات بلا كيف ... ولايقال إن يده قدرته . أو نعمته . لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال . ولكن يده صفته . بلا كيف)(١)

وهذا (النص) يوقفنا على (توقف) أبي حنيفة عن (التأويل) .

وقد أستأنس (الإمام مالك) بهذا المذهب في قولته المشهورة. فدل ذلك على (تآخي) مدرسة (الحديث) بالمدينة . ومدرسة (الرأي) بالكوفة حول مشكلة الصفات(**أبو حنيفة سنة١٥٠هـ مالك سنة١٧٩هـ**)

٢- مذهب أهل السنة في الصفات :

أ- الأشاعرة :

يقول صاحب المواقف : (ذهب الأشاعرة ومن تأسى بهم إلى أن له تعالى صفات موجودة قديمة زائدة على ذاته . فهو عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة . وعلى هذا القياس)(٢)

تقرير المذهب :

قد خالف الأشعري المعتزلة بقوله بإثبات الصفات لله تعالى فإثبات العلم والقدرة والإرادة يدل على وجود هذه الصفات متميزة

(١) راجع ص١٤ من ك (الفقه الأكبر) طبعة الهند .
(٢) راجع ص ٧٧ من ك (الإلهيات من المواقف) تحقيق الدكتور أحمد المهدي.

لأنه لامعنى لكلمة (عالم) إلا أنه (ذو علم) ولا (قادر) إلا أنه (ذو قدرة)٠

ويشرح الشهرستاني مذهب الأشعري في الصفات : بأن الإنســـان إذا فكر في خلقه ٠٠ كيف بدأ ٠٠ وكيف تطور ٠٠ حتى وصل إلى كمـال الخلقة ٠٠ علم بالضرورة ـ البداهة ـ أن له صانعا قادرا عالما مريدا٠٠ إذ لايتصور حدوث هذه الأفعال المُحْكمة من (طبْع)،فلله تعالــى : صفات دلت أفعاله عليها ٠ لأن وجه الدلالة لايختلف غائبا وشاهــداً ٠٠ وأيضا لامعنى للعالم ـ حقيقة إلا أنه : ذو علم ٠٠ وذز قدرة ٠٠ الخ وهذه لايوصف بها الذات إلا أن يكون الذات حيا بحياة ٠٠ (١)

وينبغي أن يُعلم : أن الأشاعرة يقولون : بحدوث صفات الأفعال فهي: صفات حادثةفليس عندهم سوى : صفات الذات ٠

دليل الأشعري على مذهبه :

حاول الأشعري أن يثبت مذهبه في الصفات ٠ فألزم منكري الصفات بدليله الذي يؤدي إلى بطلان إنكارهم للصفات ٠

فيقول (إنكم وافقتموني ـ بقيام الدليل ـ على كونه تعالى عالمـا قادرا ٠٠ فلايخلو :ـ

١)إما أن يكون المفهومان من الصفتين واحداً ٠

٢) أو زائـــدا ٠

فإن كان واحداً ٠ فيجب أن يعلم الله تعالى بقادريته ٠ وأن يقـــدر

---

(١) راجع ص٨٦ ج١ من ك الملل والنحل ٠

سبحانه بعالميته ، ويلزم من علم الذات ، علم كونه : عالما قـادراً ..
وليس الأمر كذلك ، فعلم أن الاعتبارين مختلفان .

وهذا الاختلاف ، لايخلو إما أن يرجع إلـى :

١) مجرد اللفظ. (٢) أو إلى الحـال .

٣) أو إلى الصفـة .

وبطل رجوعه إلى اللفظ المجرد : فإن العقل يقضى باختلاف مفهومين معقولين ، ولو قدر عدم الألفاظ رأساً .. ماارتاب العقل فيماتصـوره

وبطل رجوعه إلى الحال : فإن إثبات صفة لاتوصف بالوجود ولابالعدم إنما هو : إثبات للواسطة بين الوجود والعدم ، والنفى والإثبات وذلك محال..

وعلى ذلك يتعين الرجوع إلى (صفة) قائمة بالذات .

وهكذا أثبت الأشعرى الصفات بالمنهج العقلى، وكيف تصور الأشعرى الصلة بين(الصفة والموصوف).؟..

علاقة الصفة بالموصوف عند الأشعرى :

يقول الأشعرى عن الصفات:(لايقال : هى هو ، ولاهى غيره.. ولا : لاهو ولا : غيره..)(١)

والذى جعل الأشعرى يقول هذه العبارة الغامضة التى لايمكـن

---

(١) راجع ص٨٦ جـ١ من ك الملل والنحل.

أن يستقر عندها العقل فى قناعة المعرفة خاصة وقد أوردها فى نطـــاق الدليل العقلى الذى ارتآه لإثبات الصفات فى مقابلة (الاعتزال) الـــذى يواصل إنكاره للصفات على محور (العقل) أقول : إن ماجعله يقـــول : بذلك هو - كما صرح - ماعَلِمَهُ من أمر الانسان وصفاته • أى أنه يـــرى: تطبيق الاعتبارات الإنسانية فى الاستدلال على : الأمور الإلهية : علـــى معنى : أن حكم الشاهد - الانسان - يجب أن يكون هو حكم الغائب أيضا •• وليست هذه الصفات هى عين الذات فى الشاهد ••• فكذلك الغائب••

نقد عبارة الأشعرى :

لو أن الأشعرى ارتضى مذهب أبى حنيفة فى التوقف عن بيـــان: (الصلة)بين الصفة والموصوف معبراً عن مذهب أهل السنة • لأننـــا لانعلم (الكَيْف) وَطَرْدُ ذلك من الشاهد إلى الغائب •• لايستقيم بطريق اليقين لاعتبارات متنوعة •••

أقول : لو أنه ارتضاه •• لسلم من النقد الذى وجه لعبارته الغامضة

فقد وجدنا صاحب كتاب (العقائد النفسية) يصف عبارة الأشعـــرى

((بأنَ فيها رفعٌ للنقيضين صراحة.وجمعٌ بينهما ضمنــاً)) •

ولبيان ذلك نقـــول :

إن النقيضين هما : الأمران اللذان لاواسطة بينهما فلايجتمعـــان ولايرتفعان • كالحركة والسكون بخلاف : الضدين • فإنهما لايجتمعان وقد يرتفعان كالأبيض والأسود •

ومعنى رفع النقيضين عبارة عن : إدخال حرف النفى عليهما . فمثلا المتحرك والساكن . نقيضان . فإذا أردت رفعهما - نفيهما - قلت : لامتحرك ولاساكن وإذا أردت جمعهما - إثباتهما - فهو أن يقعا على شيء واحد . مثل : هذا الشيء : عَيْنٌ وغَيْرٌ . . .

والأشعرى - هنا - فى عبارته . أدخل حرف النفى (لا) على (عين وغير) وهما نقيضان . وذلك رفع لهما صراحة . وكل رفع للنقيضين : جمع بينهما فى الحقيقة - وذلك بأن تأخذ مايفهم من أحدهما وتضمه إلى الطرف الآخر . فيصير مايفهم من (لاعيْن) أنه (غيْر) وعندما يضم (غير) الى (لاغير) الذى هو (عين) يحصل الجمع بينهما . فكأن الأشعرى قال : غير لاغير . أو قال : عين لاعين . ومعلوم أن العين والغير نقيضان . لعدم الواسطة بينهما . - الحال - فالشيء - أيّ شيء - إما أن يكون المفهوم منه (عين) وإلا فهو (غير).

ويعقب أحد الباحثين على عبارة الأشعرى فيقول :

(إننا لاندرى كيف تكون الصفات ليست هى الذات ولاغيرها على حد تعبيره - يقصد الأشعرى - فإن العقل الانسانى العادى وغير العادى أيضا : يلمح نوعا من التناقض البديهى فى هذا التعبير أما أنها ليست بالذات . فذلك أمر واضح .. ومعناه : أنها مغايرة له معنى : أنها ليست عين الذات أما أنها ليست غير . فمعناه فى النظرة الأولى أنها عين الذات .. فهل معنى ذلك: أن الأشعرى : يعود مضطراً إلى

التسليم بوجهة نظر المعتزلة).[1]

رد الاشاعرة على هذا النقد :

وقد حاول الأشاعرة أن يرفعوا التناقض عن عبارة الأشعرى · فتركز ردهم على تفسير معنى (المغايرة) · وقد فسروها على نحو : لايسوّغه الاستعمال المألوف للغة ·

وقالوا : المقصود بالمغايرة : إن الصفات لاتنفك عن الذات مطلقاً ·

وهذا التفسير القائم على (عدم الانفكاك) يعود إلى القضية التى حاول الأشعرى أن يخرج منها ابتداءً وهى : أن الصفات زائدة على الذات وقائمة بها ·

ولو أن الأشعرى : وهو إمام من أئمة أهل السنة الأجلاء ·· توقف عن بيان(الصلة)بين الصفة والموصوف لكان خيرًا له ولنا ·

وحل (التوقف) سبقه به (أبو حنيفة) ·

ب ـ مذهب الماتريدية :

يعلل الباحثون الخلافات التى وجدت بين الأشعرى والماتريدى رغم انضوائهما تحت لواء واحد هو (أهل السنة) · قد ترجع إلى الخلافات بين أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله تعالى · فى أصول مذهبهما

---

(١) راجع ص٤٢ من مقدمة مناهج الادلة د / محمود قاسم

وعموما . : فأكثر الماتريدية (حنفية) والأشعرية (شافعية) (١)

وعلى كل حال : فقد تعاصر (الأشعرى) و(الماتريدى) فى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجرى وحتى سنة (٣٣٣هـ) فكان الأول (بالبصرة) فى المشرق . والثانى (بسمرقند) بالمغرب فأظهرا مذهب (أهل السنة) بجهودهما المخلصة . وقد حط بجناحيه على العرب والعجم . وقبوله منهما أعطى؛ أنه المذهب الذى يتسق مع التوازن العقائدى فى الاسلام . وأنه التعبير عن منهج السلف عموما .

تقرير المذهب :

يذهب الماتريدى مذهباً فى الصفات ينحصر فى : الاعتراف بأن الله تعالى يوصف بجميع صفاته فى الأزل دون تفرقة بين صفات الذات كالعلم والقدرة . وصفات الأفعال : كالخلق والإحياء .

ويصرح الماتريدى وكأنه يوجّه نقداً مباشراً للأشعرى بأن : هذه الصفات لايجوز أن يقال فيها بأنها عين الذات ولاغيرها .

وقد خالف الماتريدى صفوه : الأشعرى مستلهما بذلك الحل الذى قدمه (أبو حنيفة) . فإنه عندما سئل عما يقال فيها مادام قد (توقف) عن بيان العلاقة بين الصفة والموصوف . ومنع عبارة : إن الصفات عين الذات أو غيرها . فقال : يجب أن يقال (إنها صفات الله .. لامجاوزة عن هذا ..)

---

(١) واجع ص ٩١ ج٤ من ك (ظهر الاسلام) للدكتور أحمد أمين.

موازنة بيـن مذهب التوسط فى الصفـات :

١) أثبت الأشاعرة صفات الذات فقط وقدمها.وقالوا بحدوث صفـــــات الأفعال •

٢) الماتريدية (المتابعين لأبى حنيفة) أثبتوا صفات الذات وصفـــــات الأفعال • وقالوا بقدمها كلها•

٣) فى العلاقة بين الصفة والموصوف قال الأشاعرة : الصفة ليست غيـــر الذات ولاعينها بينما (توقف) الماتريدية فى ذلك•

٢ـ مذهب الشيخ محمد عبده فى الصفات :

يطيب لنا ان نقف على تصوير فكرة الشيخ محمد عبده لمذهـــب الصفات • لأنه يعطينا أن مذهب أهل السنة الكلامى : وصل إلى العصـر الحديث • على الصورة النقية التى أرادها له (أبو حنيفة) رضى اللـــه عنه • وتابعه فيها الاشاعرة والماتريديـة•

تقرير المذهـب :

يقول الشيـخ محمد عبده :

(فالذى يوجبه علينا الإيمان • هو : أن نعلم أنه ـ الله تعالى ـ موجود لايشبه الكائنات.أزلى أبدى حى عالم مريد قـادر.

متفرد فى وجوب وجوده • وفى كمال صفاته وفى صنع خلقه • وأنـــــه متكلم بصير • ومايتبع ذلك من الصفات التى جاء الشرع بإطـــــلاق

أسمائها عليه)

ثم يقول :

(أما كون الصفات زائدة على الذات . وكون الكلام صفة غير ماشتمل عليه العلم من الكتب السماوية . وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات . ونحو ذلك .. من الشئون التي اختلف عليها النظار - علماء الكلام - وتفرقت فيها المذاهب مما لايجوز الخوض فيه .. والاستدلال على شيء منه بالألفاظ الواردة : ضعف في العقل . وتغرير بالشرع [1] لأن استعمال اللغة لاينحصر في الحقيقة . وإن انحصر فيها - أي اللغة - فوضع اللغة لاتراعى فيه الموجودات بكنهها الحقيقي. وإنما تلك مذاهب فلسفية. إن لم يضل فيها أمثالهم . فلم يهتد فيها فريق إلى مقتع فما علينا إلا الوقوف عند مالاتبلغه عقولنا . وأن نسأل الله أن يغفر لمن آمن به . وبما جاء به رسله ممن تقدمنا من الخائضين).

تقييم .

ولعله وضح لنا من خلال عرضنا لمشكلة الصفات أن المسلمين :-

١) وصفوا الله تعالى بكل كمال.

٢) نزهوه التنزيه اللائق به.

٣) إن أيَّ (عثرة) كانت من منطق التزامهم بظاهر النص. أى مبالغتهم

---

(١) وابن رشد يتجه هذا الاتجاه في كتابه(مناهج الادلة) يراجع فيه (فصل في معرفة التنزيه) نشر الانجلو سنة١٩٦٥م.

فى الأخذ بظاهر القرآن الكريم

٤) إن هذه المشكلة لم تكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولاعصر الراشدين رضوان الله عليهم.

٥) إن هذه القضية ليست من القضايا التى نبعت ونشأت لحاجة العقيدة . ولكننا لمحنا أنها ألقيت إلقاء فى وسط المسلمين.

((القرآن كلام الله تعالى))

يجب تنزيه القرآن الكريم عن (الحدوث). لأنه (كلام الله) تعالى فما المراد عند العلماء بالقرآن الكريم..؟..

القرآن الكريم . هو : كلام الله تعالى . المنزل بواسطة جبريل على قلب النبى صلى الله عليه وسلم . والمتعبد بتلاوته . المتحدى بإعجازه كل البشر .

وهذا المعنى : كلام الله تعالى الذى أنزل على خاتم الانبياء هل هو قديم . أم حادث .. ؟ ..

تقرر العقيدة الاسلامية أنه يجب على المكلف أن يعتقد : قدم القرآن الكريم . أى : قدم كلام الله تعالى . ومن خالف فاعتقد : حدوثه فلينتظر عقاب الله تعالى وانتقامه.

واذا ماوجدت (نصا) يدل على حدوث القرآن الكريم فاحمل(الحدوث) على(اللفظ المقروء) الذى فى (المصحف) الذى دل على : كلام الله تعالى النفسى. بدلالة (الالتزام). مثل قوله تعالى : (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) فيجب على المسلم الذى يتبع مذاهب أهل الحق: أن يحمل الحدوث على اللفظ المنزل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . لاعلى المعنى القديم وهو : كلام الله النفسى .

ولم ينازع احد من المسلمين فى إطلاق كلمتى : (القرآن الكريم) .

و(كلام الله تعالى) على : القرآن المؤلف الحادث الموجود بين جلدتي الكتاب التي اشتهر باسم (المصحف) عند الأصوليين وعامة المسلمين .

وهذا الإطلاق : إما بطريق الاشتراك - وهو الأرجح - وإما بطريق المجاز والحقيقة .

فقد ذهب أهل السنة إلى أن لله تعالى :

أ- كلام نفسي . وهو(قديم) .

ب- وكلام ملفوظ مقروء - كما في المصحف - وهو : (حادث) .

أما المعتزلة : فقد ذهبوا إلى القرآن الكريم : مخلوق . أي حادث .

وقد أنكر المعتزلة : كلام الله النفسي . لأنهم قصروا الكلام على الحروف والأصوات الحادثة . ولما كان الكلام عندهم على هذا الوصف فقط . فقد أنكروا الصفة النفسية القديمة (الكلام) لاستحالة قيام الحوادث بذات الله تعالى .

ويجدر بنا بعد هذا الإيجاز أن نفصل بعض الشيء هذه المشكلة .. خاصة وأنها مرتبطة الارتباط الوثيق بمشكلة الصفات .

(ألنشأة والمذاهب فى خلق القرآن)

******

إن مشكلة (خلق القرآن الكريم) نتجت عن (مشكلة الصفات) على أساس أن :

١- من أثبت الصفات الإلهية بصفة عامة · أثبت أن الله تعالى صفة أزلية قديمة هى(الكلام) ·

٢- ومن قال إن الذات لاتوصف بصفات،واقتضاه ذلك القول : أن ينفى الصفات بصفة عامة ·· وجدناه تمشيا مع مذهبه : ينفى صفة(الكلام) كصفة أولية قديمة لله تعالى·

كيف نشأ القول بخلق القرآن :

يرى الباحثون أن القول بخلق القرآن الكريم · ظهر فى آخر الدولة الأموية على لسان (الجعد بن درهم) - وكان يعمل معلما لآخر خلفاء بنى أمية (مروان بن محمد) - وقد تكلم بخلق القرآن فى (دمشق) ثم هرب منها عندما طُلب للقضاء · ونزل (الكوفة) فتعلم منه (مقالته) : الجهم بن صفوان (١) ·

وقد بذر (الجعد) بذرة القول بخلق القرآن الكريم بالعراق فى عهد (أبى حنيفة) ·· فوصلنا بذلك مذهبه فى هذه المشكلة ·· ويقول الشيخ أبو زهرة : (فى عصر أبى حنيفة · إبتدأ بعض الناس يشيع بين

---

(١) قتل الجهم سنة١٢٨ هـ بيد : سالم بن أحوز ·

المسلمين القول فى خلق القرآن)(١) .

خطورة هذه المشكلة :

وقد ظلت هذه المشكلة تتطور وتنمو فى المحيط الاسلامى بعد أن أطلقها (الجعد) فى نهاية القرن الأول الهجرى . حتى كثر حولها الجدل. وطالت فيها المناظرات حتى نسب علم العقيدة إليها . فقيل عنه انه (علم الكلام) لكثرة مااستحوذت هذه المشكلة على مباحثه ومسائله.

ولم نجد قبل الخليفة العباسى (المأمون) من حاول أن يجعل هذه المشكلة فكرة (رسمية) تعبر عن وجهة نظر الدولة الاسلامية [٢] .

مشكلة خلق القرآن : جذورها أجنبية :

إن من ينعم النظر فى (عقيدة الاسلام) يجدها تصور معنى :(الدين الخالص) الذى لايعرف الشوائب أو التناقض أو التدابر ومن ثم فلاتدخله مثل هذه المشكلات العقائدية التى خطط لها (الأجانب) بقوة وروّجوا لها .

وفى هذا الصدد نجد من ينقل عن (إبن الأثير) : إن القول بخلق القرآن . إنما هو :(فكرة يهودية) وفدت على الفكر الاسلامى .

---

(١)راجع ص٢٠١ من ك (أبو حنيفة) للإمام محمد أبو زهرة .

(٢) توفى المأمون سنة ٢١٨ هـ.

ونجد من يوضح هذا فيقول : (قيل إن " الجعد " أخذها عن " ابن سمعان" الذى أخذها عن " طالوت بن الأعصم" اليهودى فهى إذن : يهودية).

ونجد بجانب هذا الجذب إلى (اليهودية) من يوضح انتسابها إلى (النصرانية) . ومن يذكر أنها (أجنبية) دون أن يحدد هويتها .
فيقول : إننا (نجد باحثا مثل : دى بور . يقول : إن القول بقدم القرآن متابعة لمذهب المسيحيين فى الكلمة)[1].

ولهذا سنحاول عرض المشكلة فى الجانب الفكرى الاسلامى من خلال المذاهب الآتية :-

اولا : مذ هب(أبى حنيفة) فى خلق القرآن :-

يقول أبو حنيفة رضى الله عنه عارضا مذهبه فى خلق القرآن (والقرآن كلام الله تعالى فى المصاحف مكتوب وفى القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء . وعلى النبى صلى الله عليه وسلم منزل ... ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له مخلوقة . وقراءتنا له مخلوقة .. والقرآن غير مخلوق .. وماذكر الله تعالى فى القرآن حكاية عن موسى . وغيره من الأنبياء عليهم السلام.. وعن فرعون وإبليس . فإن ذلك كله : كلام

(١) راجع بالتفصيل ص١٦١ ج٣ ومابعدها من ك (ضحى الاسلام) للدكتور أحمد أمين : وص١٣٧ من ك (المأمون) للدكتور محمد مصطفى هدارة وص٢٢٥ من ك (إبن قتيبة) للدكتور عبد الحميد الجندى.

الله تعالى ٠٠ إخبارا عنهم ٠ وكلام الله تعالى غير مخلوق ٠ وكلام موسى وغيره من المخلوقين : مخلوق ٠ والقرآن كلام الله تعالى ٠ فهو قديم ٠ لا كلامهم ٠٠٠٠)[١]

ثم يقول موضحا (ونحن نتكلم بالآلات والحروف ٠٠ والله تعالى يتكلم بلا آلة وحروف ٠ والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق)

وقد نقل عن أبي يوسف رحمه الله تعالى : إن أبا حنيفة (نوزع) في خلق القرآن ستة اشهر ٠٠ فاتفق رأية على أنه : غير مخلوق (وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر ٠)[٢] ٠

ويؤكد مذهبه في رسالته (الوصية) : (نقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ووحيه وتنزيله لاهو ولاغيره ٠٠ بل هو : صنعته على التحقيق مكتوب ٠٠ في المصاحف مقروء بالألسنة ٠ محفوظ في الصدور غير حال فيها والحبر والكاغد[٣] ٠ والكتابة مخلوقة ٠ لأنها أفعال

---

(١) راجع ص ٩ ، ١٠ من ك (الفقه الاكبر) لأبي حنيفة شرح الشيخ أبي المنتهى المغنساوي ٠ طبعة حيدر آباد الهند ٠٠

(٢) راجع ص ١٣ من ك(الجوهرة المنيفة) تأليف / ملاحسين اسكندر طبعة الهند سنة ١٣٢١ هـ٠

(٣) الكاغد ٠ كلمة فارسية معناها : الورق٠
تراجع الوصية ص١٨٠ك(الطبقات السنية في تراجم الحنفية) تأليف العلامة تقي الدين الداري ٠ تحقيق الاستاذ عبد الفتاح الحلو نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سنة١٩٧٠٠

العباد لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات : دلالة القرآن لحاجة العباد إليها .... فمن قال بأن كلام الله مخلوق فهو كافر بالله العظيم) .

ويقول احمد شراح أبي حنيفة :(والحاصل أن المكتوب في المصاحف الالفاظ الدالة على المعنى القديم القائم بالذات والمعنى القائم بذاته تعالى غير حال في المصحف)(١)

ويقرر باحث معاصر . فيقول :(إن أبا حنيفة كان يقول : بأن لفظنا . بالقرآن مخلوق . أما القرآن فغير مخلوق)(٢)

ويؤكد هذا المذهب من يقول : (.. إن أبا حنيفة يرى: إن القرآن الذي هو كلام الله قديم . وأن القرآن الذي هو مكتوب في المصاحف مقروء بالألسنة ... : حادث)(٣) .

هذا مذهب أبي حنيفة المتوفى سنة ١٥٠ هـ في (مشكلة خلق القرآن) وسيظهر لنا : كيف ألهم أبو حنيفة . أبا الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٢ هـ . مذهبه في (خلق القرآن) .

ثانيا : مذهب الأشعري في خلق القرآن :

يذهب الأشعري إلى : أن كلام الله تعالى يطلق بإطلاقين - كما هو

(١) راجع ص١٢ من ك(الجوهرة المنيفة) .

(٢) راجع ص ٢٤٥ من ك (نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية) . للدكتور يحيى هاشم.

الشأن في الانسان - فالانسان نعتبره متكلما باعتبارين :-

أ - الكلام بالصوت ٠

ب - الكلام النفسي الذي ليس بصوت ولاحرف وهو المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بالالفاظ٠

وكلام الله - كذلك - عند الأشعري يطلق بإطلاقين :

١- المعنى النفسي ٠٠ وهو القائم بذاته ٠ وهوالازلي القديم٠ وهو لايتغير بالعبارات ولايختلف باختلاف الدلالات ٠ وهو المراد عند وصف كلام الله تعالى بالقدم ٠ وهذا هو الذي يطلق عليه (كلام الله) على الحقيقة٠

٢- أما القرآن - عند الاشعري - بمعنى المقروءالمكتوب فهو بلاشك: حادث مخلوق فإن كل كلمة تقرأ تنقضي بالنطق . فكل كلمة : حادثة فكذا المجموع المركب منها (حادث)٠

ويطلق على المقروءالمكتوب (كلام الله) على سبيل المجاز ٠

مقارنة الأشعري بأبي حنيفة في خلق القرآن :

إذا أردنا ان نحدد عنصر الأصالة في مواجهة مشكلة خلق القرآن٠ فإنه يتعين علينا أن تجري المقارنة الآتية :

١- إن القرآن الكريم عندهما كلام الله القديم ٠ وقد أطلق الأشعري على هذا النوع إسم(الكلام النفسي) وهذه التسمية لم تعرف - فيما أعلم - قبل الاشعري٠

٢- القرآن المكتوب المقروء(حادث)٠ ويطلق على كلام الله (مجازاً)٠ عند كليهما ٠

٣- يلاحظ من هذا : مدى التشابه بين المذهبين الذى يكاد أن يكون (تطابقاً).

فإننا نجد الأشعرى : يتبع أثر أبى حنيفة فى هذه المشكلة .. رغم أن الزمن يفصل بينهما بقرنين من الزمن ومانرى تجديداً للاشعرى سوى ابتكاره لعبارة (الكلام النفسى) . وفرقٌ بين الابتكار الاصطلاحى (الأسماء) وبين ابتكار (المذهب).

ثالثا : مذهب المعتزلة فى خلق القرآن :

عندما نفى المعتزلة صفات الله تعالى ومن بينها (صفة الكلام): كان من المتوقع أن لايقول الاعتزال : بقدم كلام الله تعالى . وأن يذهبوا إلى القول : بخلق القرآن الكريم وحدوثه.

وعلى ذلك تكون نظرة المعتزلة إلى القرآن الكريم : نظرتهم إلى الكلام المؤلف من حروف وأصوات . فقاسوه على الكلام الذى هو فعل المتكلم وهو حادث وإذا كان القرآن يتألف من (كلمات) وهى حادثة. فلابد أن يكون حادثا . وليس القرآن قديما . لأنه ليس صفة من صفات الله تعالى بل هو فعل من أفعاله تعالى..

ويمكننا رصد الملاحظات الآتية على المعتزلة :-

١- المعتزلة أنكرت الصفات . فأنكروا (الكلام) القديم.

٢- الذى دعاهم إلى القول بالحدوث . مبالغتهم فى تنزيه الله تعالى وخشيتهم من (تعدد) القدماء .

٣- القرآن على هذا : حادث مخلوق عندهم . بلا تفريق .

٤- مذهب المعتزلة هذا : يرفضه أبو حنيفة والأشاعرة ويتفقا على منهج واحد هو (مذهب أهل السنة والجماعة) .

رابعا : مذهب الماتريدية في خلق القـرآن :

جاء أبو منصور الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٢ هـ. معبراً عن مذهـب أبي حنيفة في العقائد . في القرن الرابع الهجري.

فقد فرق الماتريدي بين : نوعين من الكلام :

أ- كلام نفسي : وهو المعنى القائم بذاته تعالى . ويقال عن هذا النوع إنه (قديم) وأنه ليس من كلام البشر . فليس بحرف ولاصوت.
فهو (صفة ذاتية) له تعالى . والله متصف بالكلام منـذ الأزل. على هذا الاعتبار .

ب- وكلام مؤلف من حروف وأصوات وهذا النوع يوصف بأنه : (حـادث) ومخلوق.

وهكذا نجد أن المذهب الماتريدي :

١- جاء معبراً في الحقيقة عن مذهب أبي حنيفة .

٢- وافقت الماتريدية الأشعرية في تأكيد معنى الكلام النفسي. والكلام المؤلف .

وهذا يوضح لنا بجلاء : أن مذهب أهل السنة وجد : نقيا منذ عصر التابعين .. حتى العصور التي تلته واستقرت فيه وترسخت : المذاهب

العقائدية وعبر عن هذا الاستقرار باسم (مذهب أهل السنــــة)٠

خامسـا : مذهب إبن حنبل فى خلق القـرآن:

علمنا من قال بحدوث القـرآن بالإطلاق٠

وعلمنا من فرق بين الكلام النفسى والكلام المقروء فهل وجد مـــن قال بقدم القرآن بالإطلاق ٠٠؟ ٠

مذهب القـدم باطلاق :
****

يرى الامام أحمد بن حنبل إن :

القرآن المسموع والمقروء والمكون من ألفاظ وحروف قديم ٠٠ وهـــذا القرآن القديم هو : كلام اللــه ٠٠

ويقرر أحمد بن حنبل : أنه لاسبيل إلى البرهنة على قدم القـــرآن بأدلة سمعية أو عقليــة ٠

وبذلك يتضح أن ابن حنبل يرى أن كل(الكلام) قديم ٠ سواء أكـــان كلاما نفسيا أو كلاما مكتوبا مقروءاً ٠

ولافرق بين الحقيقة والمجاز فى كل مايتصل بكلام الله القديم إذ الكل: (قديم) ٠

تقييم هذا المذهب :

نلاحظ على مذهب القدم بالإطلاق وهو المنسوب إلى أحمد بن حنبل مايأتـــى :-

١-إتفق (ابن حنبل) مع(أبى حنيفة والأشعرى والماتريدى)فى : أن كلام الله قديم٠

٢- لم يتفق (إبن حنبل) مع (المعتزلة) فى: أن كلام الله تعالى مخلوق.

وقد عارض (أبو حنيفة والأشعرى والماتريدى) الإطلاق فى مذهب الاعتزال.

٣- لم يتفق (إبن حنبل) مع (أبى حنيفة والأشعرى والماتريدى) فى قولهم: إن القرآن المكتوب المقروء مخلوق وحادث. حيث: انفرد (ابن حنبل) بوصفه بالقدم لكل مايمكن أن يطلق عليه أنه (كلام الله): بالإطلاق.

٤- أمسك (ابن حنبل) عن التدليل على مذهبه سواء بطريق السمع أو العقل. بينما وجدنا كل صاحب مذهب. لم يترك مايعضد مذهبه ويعينه على إثباته إلا ذكره.

٥- أدت مبالغة (الحنابلة) فى خلق القرآن إلى القول: بقدم المصحف نفسه وغلافه وجلده.

٦- خالفت (الحنابلة) منهج السلف فى مشكلة خلق القرآن فماهو موقف (السلف) من خلق القرآن ..؟..

سادسا: مذهب السلف فى خلق القرآن:

علمنا مذهب السلف فى الصفات بصفة عامة. وقررنا أن مشكلة خلق القرآن: نشأت عن مشكلة الصفات والتى تمتح منها..

فالسلف يقفون عند (النص). ولايسمحون لأنفسهم بالتأويل. وهم يرون: أن معرفة الله وصفاته. فوق العقل. وهذا العقل عاجز حيالها.

وقالوا : نؤمن بما جاء . كما جاء . وكيف نستطيع أن نجيب على (كيف) و(ما) فى ذات الله تعالى وصفاته . بل إننا قد عجزنا أن نجيب عن(كيف) و(ما) فى أنفسنا . وهى قريبة منا وبين جنبينا .

ولذلك ينكر السلف :الجدال ويسلّمون بالآثار ...

السلف والتوقف :

عندما أثار المعتزلة فى الفكر الاسلامى مشكلة خلق القرآن قال السلف :

القرآن كلام الله : لانقول مخلوق وغير مخلوق فإن إثارة هذه المسألة : (بدعة) لم يقلها النبى صلى الله عليه وسلم ولم تقلها الصحابة رضوان الله عليهم . بل لم تكن على عهدهما ..

ومن هنا قرر السلف : عدم المتابعة فى هذه المشكلة مذهبا . أوجدلا أو خصومة . أو تأويلا .أو تدليلا .

وقام السلف بتطبيق منهجهم فى : التوقف فطبقوه - هنا- بقوة وقالوا :

القرآن كلام الله فحسب . وهذا - فقط - هو ماقاله الله تعالى فى قرآنه الكريم.

تقييم :

رأينا كيف برز منهج(التوقف)عند السلف . وكيف خالف (ابن حنبل) منهج السلف.

سابعا : مذهب الشيخ محمد عبده فى خلق القرآن :

يقول الشيخ محمد عبده :

(أما الكلام المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم • فلا خلاف فى حدوثه ولافى أنه خلق من خلقه) •

ثم يقول :(والقول بخلاف ذلك مصادرة للبداهة وتجرؤ على مقام القوم بنسبة التغير والتبدل عليه• فإن الآيات التى يقرؤها القارئ تموت وتفنى بالبداهة كلما تليت • والقائل بقدم المقروء أشنع حالاً وأضل اعتقاداً من كل ملة جاء القرآن نفسه بتضليلها •والدعوة إلى مخالفتها)•

الشيخ محمد عبده والمشكلة :

أدلى الامام محمد عبده برأيه فيما حدث من (فتن) بسبب (خلق القرآن) • فقال :-

(وأما مانقل إلينا من ذلك الخلاف الذى فرق الأمة • وأحدث فيها الأحداث • خصوصا فى أوائل القرن الثالث من الهجرة • وإباء بعض الأئمة - يقصد ابن حنبل - أن ينطق بأن القرآن مخلوق • فقد كان منشؤه مجرد التحرج والمبالغة فى التأدب من بعضهم - وإلا فيجلّ مقام مثل : الإمام ابن حنبل عن أنه يعتقد : أن القرآن المقروء قديم• وهو يتلوه كل ليلة بلسانه ويلقيه بصوته)•

ويلاحظ أن الشيخ محمد عبده قد (صبّ) فتواه على القرآن المسموع

المقروء . وأثبت له الحدوث . و(نقد)من قال بقدمه : بأسلوب عفيف جليل . فلا قدح ولاتجريح.

ثم أثبت بعد ذلك : ثبوت (الكلام) صفة أزلية قديمة ..(١)

ونود أن ننبه أن هذه المشكلة . قد امتحن فيها الكثير من العلماء ولكننا لم نشأ أن نعرضها العرض التاريخى والسياسى مكتفين بهذا العرض العقائدى الوجيز .

---

(١) راجع ص٥١ ومابعدها من ك (رسالة التوحيد) تحقيق الدكتور / محمود ابو رية نشر دار المعارف.

أفعـــال العبـــاد

****

((الجبـر والاختيـــار))

الله سبحانه وتعالى هو : المتفرد بالخلق والإيجاد · فالكـــون بما فيه ·· من خلق الله تعالى · وهو الذى أوجده بقدرته وإرادتـــه· والانسان أكرم مافى هذا الكون·· هو من خلق الله تعالى - أيضـــا- وإيجاده ··

وهذا يدلنا : على أن العالم لم يوجد بطبعه · أو بفعل المصادفـة أو بقوة ذاتية فيه أثرت فيه فوُجد ··

بل العالم - الكون -وُجد بقدرة خارجة عنه أثرت فيه · وخصصـــت الممكن ببعض مايجوز عليه من الوجود ·· فوجد · فالعلة التى أثـــرت فى وجوده هى قدرة الله تعالى والانسان موجود فى هذا العالم ·· فيخضع لهذه القدرة فى وجوده· فلم يخلق الانسان نفسه.أو بتفاعل ذاتـــى ·· أو بقانون (التطور) الذى يعبر عنه حديثاً : بنظرية (النشؤ والارتقاء)(١).

---

(١) ذهب الانجليزى (تشارلس دار وين) ت١٨٨٢ م إلى أن الانسان خلـــق من ذاته بدون قدرة أخرى أو جدته · ويدّعى : أن هنالك (خليـــة) أولية·· نشأت (تلقائيا) ثم تطورت ·· وظلت ترقى فى تطورهـــا حتى تفرعت منها الأجناس· وأرقى هذه الاجناس هو (الإنســـان) الذى يعتبره (دارون) أرقى درجات (القردة) العليا ·

وهكذا ينكر نشأة(آدم) عليه السلام الراقية كما صورته الكتب السماوية · خاصة القرآن الكريم·
=

كما أنه لم يخلق بفعل (المصادفة)[1] ..

والذى علينا اعتقاده : أن الله تعالى هو الخالق للانسان ، والموجودات .. وأنه (علة) الخلق والوجود . فلا توجد (علل) - أسباب - أخرى تستطيع أن تخلق أو توجد . ومانراه من آثار (العلل) في (المعلومات) مثل : النار التى تحرق .. والسكين التى تقطع . والماء الذى يروى .. فهذه الأسباب - جرت - العادة أى ملاحظة الإنسان وتعوده أن يراها كذلك .. أما حقيقة تأثيرها فهى : ظواهر إرادة الله وقدرته .. هذه (العلل) بدون هذه القدرة الإلهية : لاتستطيع أن تؤثر في معلولاتها . ولندرك هذا المعنى علينا أن نستحضر فى ذهننا : النار التى أعدت ليحرق فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام . فأمر اللهُ تعالى - العلةُ الحقيقية فى التأثير - النارَ العلةَ العادية التى لاتؤثر في إطار طاعتها لمن خلقها - فقال لها : (.. يانار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم ..) .. فإذا بالإحراق يتلاشى من النار . وإذا بهذه (العلة)

= وبايجاز: علميــاً (هذه النظرية):العلم الحديث يكذّبها .

وعقائديــاً : هى تكذّب نصوص الوحى,والوحيُ يكذّبها ..

وعليه : فهى قول فاسد يصادم العقائد .. ، ونجد الآن من يتوارى خجلا : من محاولته جعل (الفرض العلمى) : قانونا بمنهج المغالطة.

(١) والذى قال بالصدفة الخالمة هو (مالبرانش) ت /١٧١٥م وهو قسيس فرنسى تفلسف - ولذلك جاءت فلسفته مصبوغة باللاهوت المسيحى. وراجع ص١٤٨ من ك (دروس في تاريخ الفلسفة) دكتور : ابراهيم مدكور.

التى (تعود) الناس على مشاهدة تأثيرها فى شكل محدد مألـــوف . تخرج عن إطارها ..إلى : الضدّ .. فدل ذلك : على أن (الإحراق) فـــى (النار) ليس من (طبعها)) وإنما هى تخضع لقاموس الطاعة لله تعالـــى حيث أراد الله للكون (قانوناً) يحكمه . فكانت (سنته) التى أراد أن تسير سير (القانون) فقال : (سنة الله. ولن تجد لسنة الله تبديلا).

ومعنى عدم التبديل : أن هذه(القوانين) تدين بالطاعة لمن أوجدها وهو الله تعالى . فلا تخرج عن أوامره وطاعته . والتى يمكن أن تكـــون ضمن الطاعة الكبرى التى أخذها من السماء والأرض . عندما أمرهمـــا أن يصدرا عن مشيئة فى قانون شامل عام. ووجه إليهما . هذا فى صـــورة التخيير بين الإتيان بالاختيار أو بالاضطرار ، فإذا بهما وقد أدركـــا قوة وقدرة الآمر .. فى قوله تعالى : (إئتيا طوعاً أو كرهاً) فكـــان الجواب :(قالتا : أتينا طائعيـن). وهذه الطاعة فى الإتيـان.. يمكـن أن يدخل فيه : الإتيان بالقوانين والعلاقات السببية بينها وبيـــن المسببات.

الأقوال فى علاقة العلة بالمعلولات :

تشعبت الأقوال فى علاقة (العلة بالمعلولات) على النحو الآتـــى :-

١- مذهب أهل السنـة :

أ- الأشاعرة : ذهبت إلى أن العلاقة بين (العلة) وبين (المعلول)

أو بين (السبب) وبين(المسبب) أى : بين (النار) وبين(الاحـــراق) هى علاقة (عادية) • ومعنى (العادة) هنا : الشيء الذى يتكرر و(يعود) كلما أعيدت ظروفه• ويقصدون بالعادة :نفى فكرة (الضرورة) فى هــذه العلاقة • والضرورة معناها • الإلزام والاضطرار •• والتى تستلزم أنــه كلما وجدت العلة وجد المعلول• بالضرورة بلاتخلف على الاطلاق•

والأشاعرة : ينفون هذه(الضرورة)ويضعون بدلها فكرة (العــادة)• ويقصدون : أن العلة تؤثر فى المعلول لأن الله تعالى يأمرها بذلـــك• فلو أمرها بغير ذلك لأطاعت العلة • ولم تستطع أن تظهر ماتعـــود الناس رؤيتها منها من قبل•••

يهدف الأشاعرة : من وضع فكرة (العادة) بدل فكرة(الاضطــرار) إحكام قدرة الله تعالى فى الخلق والإيجاد •• وحتى لايتحول (العالــم) إلى حركة (آليــة) متعاقبة لادخل فيها لقدرة الله تعالى ••

ب ـ الماتريديــة :ـ

يتفق الأشاعرة والماتريدية فى أن الله خالق العالم وموجــده•• وأنه هو الذى يؤثر فى (المعلولات) بقدرته وأن (السبب) الظاهرى (النار) هى من خلق الله تعالى • ولاتحدث الإحراق بذاتهــا •

وهذا النحو بسطنـاه عند التعريف بوجهة نظر (الأشاعرة)•

وجهة الخلاف بينـهمـا :

ولكن مع هذا الاتفاق •• فإن بينـهما فرق رقيـــق

يكاد أن يجعل - من شدة رقتــه - الخلاف لفظيا ٠٠ وهــو :

أن الماتريدية يقولون بأن العلاقة بين(العلة والمعلول) ليست بينهما التلازم (العادى) كما يقول الأشاعرة ولكن بينهماتلازماً (عقليـــا)٠

ولكن ماذا يعنون بمعنى : التلازم العقلى ٠ هل يريدون منــه (الاضطرار)٠٠؟٠٠

والحق أن الماتريدية قد وفّقوا بين عقيدة صادقة تجعل الأمــور كلها لله تعالى ٠ وبين قانون الله تعالى الذى أراد للعلل والمعلولات أن (تطرّد) نتائجها ٠ حتى يمكن من هذا الاطراد فهم معنى (ســنن) الله الكونية ٠٠ فقالوا بمذهب فى علاقة العلل المعلولات ٠ لايخرج فى نتيجته عن الرأى الذى ذهب إليه الأشاعرة من معنى (العادة)٠

فقد وجدنا الماتريدية ٠ بعدما قالوا بالتلازم العقلى بين السبب والمسبب ٠ قالوا : إن (الأثر) من علاقة السبب بالمسبب ٠ ليس من صنع (السبب)٠ ولكنه مخلوق لله تعالى ٠ ويقصدون إلى : أن النـــار لو مست شيئا فأحرقته ٠ فإن : التلازم بين النار وبين الشيء (المحترق) تلازمٌ عقلى ٠ لايمكن أن يتخلف ٠٠ ولكن نتيجة هذا التلازم وهــو (الإحراق) ليس (ناتجا) عن هذا التلازم العقلى٠٠ وإنما نتج عن أمــر خارجى عن العلة والمعلول وهو : قدرة الله تعالى وخلقه وإيجــاده فالإحراق ٠ لم يكن من تلاقى العلة بالمعلول ٠ ولكنه من شيء آخر هــو : الله تعالى الذى له أن يوجده ٠٠ أو لايوجده ٠٠

ويتضح من ذلك : أن الاختلاف بينهما فى (البدء والنهايـــة)

فبينما ذهب الأشاعرة إلى أن الله خالق (إبتداءً) والعلاقة (عاديـــة).

.هبت الماتريدية إلى : أن الله خالق (إنتهاءً) والعلاقة (عقليـــة).

- مذهب المعتزلـة :

عالج المعتزلة موضوع العلاقة بين (العلة والمعلول) بطريـــق يختلف عن معالجة (أهل السنـة) ..

فإن المعتزلة اتفقت مع أهل السنة فى أمر هام • وهو : اللـــه خالق للأثر • والمؤثر ••• والكون كـله••

وبسط الاعتزال فكرته عن الخلق هذا • فقال: إنه خلق فى كل شيء من هذا الوجود (نظامه) وقانونه التى به يؤثر فهم يقولون بفكرةٍ فى(السببية) • **التى تقـول :**

إن الله هو الذى خلق الأشياء • وأودعها بقدرته قانونا فى(التأثير) فهى عندما تؤثر • فهى (تنفذ) قانون الله الذى أودعها فيه• ومايمكن للعلل والمعلولات أن تتخلف آثارها • فالتلازم بينهما : تلازم ضـــرورى إذا وجد السبب • فلابد أن يوجد المسبب وليس هذا - عند الاعتـزال - إلا من منزع واحد هو : طواعية الأسباب والمسببات لقدرة الله تعالى•

فالمعتزلة : يقرون بتأثير العلل فى المعلولات على وجه التـــلازم الضرورى • إذ خلق اللـه الكون بنظام ثابت وأودع فيه بحكمته وقدرتـه قوى تؤثر بطريق فكرة (السببية) التى هى من خلق الله تعالى • فاللـــه تعالى هو الذى جعل فى النار (خاصية) الإحراق ••ولأن هذه (الخاصيـة)

من قدرة الله تعالى وإرادته . لايمكن أن تتخلف عندما تتعلق العلة بالمعلول - السبب بالمسبب - فالتلازم بينهما : ضروري حفاظاً على فكرة : قدرة الله تعالى وخلقه.

فالمعتزلة - بذلك - لايبتعدون عن مذهب أهل السنة في إثبات قدرة الله تعالى في خلقه ويعترفون بأن (الآثار) والنتائج من : الله تعالى . ولم يفصلوا (الله) على (الكون) والخلق عن (الخالق) كما قد يتبادر إلى ذهن متعجل.

٣- مذهب الفلاسفة :

يرى الفلاسفة الطبيعيون أن الاسباب تؤثر في المسببات بقانون الطبع والذاتية . فالعلة من طبيعتها وذاتيتها توجد وتخلق (المعلول) فلو تخلفت تخلف.. والآثار المترتبة عن العلاقة بينهما : هي نتيجة (ضرورية) لازمة عن هذا التلاقي . ولابد أن توجد عند هذا الالتقاء.

وهنا لا نجد في هذا المذهب : فكرة الخلق الإلهي أو فكرة اكتساب التأثير من قوة خارجية . بل (النار) لأنها (نار) فقط (تحرق) وتحدث (الإحراق) بطبعها وذاتها.

الحكم على هذه المذاهب :

١- معتقد مذهب الفلاسفة : كافر . لأنه نسب الخلق لغير الله تعالى.

٢ - معتقد مذهب الاعتزال : مبتدع فاسق لأنه صاغ مذهبا قد يفتن البسطاء . فيعتقدون نسبة الخلق لغير الله تعالى . وهذا خروج عن العقيدة.

٣ - معتقد مذهب الماتريدية : فيه(حمق) لانه قد يتسبب فى تصوير (مذهب اهل السنة) على نحو لا يثبت بطريق (مباشر) الخلق لله تعالى • عندما يثبت فكرة (التلازم العقلى) التى قد تشكل على البعض •

٤- معتقد مذهب الأشاعرة : هو المؤمن الناجى من الفتن والإحن والتلويح والتوبيخ •لأنه يقصد بصورة مباشرة إلى إثبات الخلق لله تعالى وحده • عندما أثبت أن العلاقة بين السبب والمسبب هى علاقة (العادة) بلا ضرورة ولاطبع •• وإنما سبب يستمد أثره من قدرة الله سبحانه وتعالى•

أفعال الانسان الاختيارية :

بسطنا القول فى بيان أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق للعالم بما فيه • وخالق للانسان فى جميع مراحل حياته سبحانه وتعالى •

وهنا نأتى إلى سؤال هام :

إذا ثبت أن الله خالق للانسان • فهل يستتبع ذلك أن يكون الله تعالى خالق لفعل هذا الانسان أى موجد لعمله الذى يعمله فى هذه الحياة؟•• واذا كان هو الموجد لعمل الانسان نفسه • فما دور الانسان تجاه هذا العمل من ناحية كونه (مسئولا) عن هذا العمل ••؟•• وبعبارة أخرى : مامسئولية الانسان فى عمل لاينسب إليه • ؟••

معنى الفعل الاختيارى الانسانى :

إن الانسان فى هذه الحياة - دار التكليف- يأتى أفعالا كثيرة متعددة

الاتجاهات . متشعبة المناشط.

والذى يعنينا هنا : الفعل الانسانى من حيث الاضطرار والاختيار..

أ - فالفعل الاضطرارى هو : الذى يصدر عن الانسان رغما عنه ولايستطيع أن يتحكم فيه وجودا أو عدما . فهو مقهور فيه : إيجادا أو إعداما.

وهذا الفعل الاضطرارى . ليس موضع بحث علماء التوحيد فهو خارج عن نطاق مسألة (أفعال العباد) ولايعنونه عندما يقولون (فعل العبد).

ومثّلوا لهذا النوع : برعشة اليد . ووجيب القلب . وماإلى ذلك من الأفعال التى لادخل للانسان فى التحكم فيها .

وهذا النوع كل المذاهب - بلا استثناء - متفقةٌ على أنها : مخلوقة لله تعالى ولادخل للعبد - الانسان - فيها ..

ب - والفعل الاختيارى هو : الذى يصدر عن الانسان عن عمد وروية وقصد . بحيث يكون أمامه العبدُ : مختاراً فى أن يأتى هذا الفعل أو يدعه ويذره..

ومقياسه : أن يشعر الانسان أنه (حر) بلاقيد عليه فى اختياره وأنه مستطيع أن يفعل (الخير) أو (الشر) وهذا النوع - الاختيارى - هو موضع الخلاف بين علماء التوحيد . فمنهم من ذهب إلى أن : الفعل الاختيارى هو من خلق الله تعالى ولادخل للعبد فيه ، ومنهم من ذهب إلى أنه مخلوق للعبد وحده .. على تفصيل بين المذاهب ، سنحاول هنا أن نوضح قبل عرض هذه المذاهب : المشكلة

العقائدية المترتبة على القول بإسناد الفعل إلى الله تعالـــى ٠
والمشكلة التى يمكن أن تكون عندما يسند الفعل إلى العبـــد ٠٠
وهل يمكن أن تحل هذه المشكلة حلاً عقائدياً يرضى عنه الجميع٠٠؟٠

معنى إسناد الفعل الاختيارى إلى الله تعالـى :

يرى من يسندها إلى الله تعالى : أن هذا الإسناد ضرورى لأن:
عدم الإسناد يقتضى : أن يوجد شريك مع الله تعالى ٠ يستطيـــع
أن يأتى أفعالا استقلالية بعيدة عن دائرة قدرة الله تعالـــى٠٠٠
ومنحصره فى قدرة العبد وحده ٠

فإسناد الفعل الاختيارى إلى الله على هذا المعنى : إنما هو مـــن
قبيل الكمال اللائق بالذات الإلٓهية ٠ وحصر للانسان فى دائرة (المقدور)
الحقيقى ٠ لافى مفهـوم(القادر) ، (وقادرية الانسان) على هذا الوصـــف
تكون بالإطلاق المجازى٠

معنى إسناد الفعل الاختيارى إلى العبد نفسه :

والذى يسند الفعل الاختيارى إلى : العبد وحده استقلالا يـــرى:
أن هذا الاسناد يقتضية الكمال اللائق والتنزيه الواجب لذات اللـــــه
تعالى ٠

فالفعل الاختيارى : منه الخير والشر ولايصح أن يسند إلى اللـــــه
(الشـر)٠

وكما أنه إذا أسند الفعل الاختيارى إلى الله تعالى كان هذا الفعـل

الاختياري بالنسبة للانسان : فعلا اضطراريا لما هو معلوم من تعلق إرادة الله وقدرته بالممكن فيصيره هذا التعلق : واجبا لغيره٠

وإذا كان الفعل الانساني الاختياري واجبا لغيره٠٠ فكيف يكون الانسان - المضطر آنذاك - مسئولا عنه٠ وكيف يحاسبه الله تعالى على فعل لم يفعله ٠٠؟٠٠ إن فكرة (التكليف والمسئولية) والتى تؤصلها (نصوص الوحي) تقتضي أن يكون الفاعل هو (الانسان) وباختياره حتى يمكن (محاسبته) وهو (حر) فلا معنى لمحاسبة (المقهور المضطر) في جانب العدل الإلهي ٠

فيجب عندهم أن يسند الفعل الاختياري إلى الانسان تنزيها ومسئولية ٠

المذاهب فى اسناد الفعل :

بعدما وضحنا أهمية هذه المشكلة فى العقيدة الاسلامية نود الإشارة إلى المذاهب فيها بين المسلمين بإيجاز :

١ - مذهب المعتزلة :

يرى هؤلاء : أن الأفعال الاختيارية ٠ يجب أن تسند للانسان نفسه فهو الذى يخلقها وهو المسئول عنها ٠ وله قدرة تعينه على هذا الفعل الاختياري ٠

ويذكرون : أن هذه القدرة ٠ قد أودعها الله تعالى فى الانسان ٠ ليمكّنه من الاختيار ٠

فليس الاختيار ـ بهذا المعنى ـ بعيدا عن دائرة القدرة الإلهية ..

وقد سمى (المعتزلة) هذا الرأى (عدلًا) وجعلوه من أصولهم الخمسة التى بنوا عليها مذهب (الاعتزال) فمن تركها لم يكن (معتزليًّا) عندهم ويقصدون بفكرة العدل : أن المسئولية لابد أن تتمخض عن الاختيار بمقتضى قانون (العدل) الإلهى .. إلخ..

٢ـ مذهب أهل السنة :

يرون أن الله تعالى هو الخالق لفعل الانسان الاختيارية . ولاتأثير للعبد في فعله الاختيارى.

ويستدلون ـ عقلا ـ على ذلك : بأنه لو كان الفاعل المختار هو الانسان لوجد فى ملك الله مايسند الى غيره استقلالا وهذا مستحيل وبالنقل يستدلون بقوله تعالى : (والله خلقكم وماتعلمون) فالله تعالى ـ عند أهل السنة ـ فاعل للخير والشر والنافع والضار وكل فعل إنسانى فى هذه الحياة (دار التكليف) وبالتالى فى غيرها ..

هل يجوز أن ينسب الشر إلى الله تعالى .؟ ..

هذه هى النقطة التى منحت الوجود للمذهب الذى يسند الفعل الاختيارى إلى العبد . فهل ننسبه لله تعالى فعل الشر ..؟.. خاصة وأننا نعتبر أن نسبة الشر : نقص لايليق بإنسان فما بالنا بذات الإله .. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وقد حاول من ينسب الفعل كله لله تعالى أن يتلمس جوابا فقـــال:

لايجوز أن تنسب الشر الى الله .تعالى ٠ من باب جريان الخطـــاب الأليق بالذات الإلهية فإن أدب الخطاب مع الله تعالى يقتضى أن ننسب الشر إلى الانسان نفسه ٠٠ تنزيها لله تعالى عن نسبة النقص إليـه ٠٠ وقد جاء القرآن الكريم بهذا التوجيه :-

يقول الله تعالى : (ماأصابك من حسنة فمن الله ٠ وما أصابك من سيئـة فمن نفسك)٠

وقد عبر عن هذا الاسناد (العبد الصالح) لسيدنا موسى عليه السلام حيث قال : (فأردت أن أعيبها) ، وكقول سيدنا إبراهيم عليه الســلام: (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين ٠ وإذا مرضت فهو يشفين) ٠ فأسند الفعل (الخير) إلى الله تعالى ٠٠ وعندما وصل إلـى (المرض) وهو نقص أسنده إلى نفسه ٠ فقال (مرضت) ولم يقل (أمرضنـى) كما كان يقضى سياق الاسناد فى هذا النص ٠ وهذا الالتفات فى الاسناد إنما هو من قبيل : التأدب مع الله تعالى بعدم نسبة الشر إليـــه إذ الحقيقة أنه الفاعل لكل شىء ٠ يقول تعالى : (قل كل من عند الله)٠

شبهـــة

قد يهجس الشيطان لانسان بعد هذا العرض : أنه يجوز للعبـــد ان يحاجج ربه تعالى الله عن ذلك٠ وأن تكون هذه الحجة فى هيئـــة تقول : لِمَ تعذبنى ياإلهى ٠ والكل فعلك وحدك٠٠؟٠٠

جواب الشبهــة :
هذه الشبهة مردودة على العبد ٠ لان الله تعالى لايتوجه

إليه اعتراض • ولايوجه على فعله سؤال يقول الله تعالى :(لايسأل عما يفعل)• ولايمكن أن يكون للعبد (حجة) على خالقة تعالى• إذ : (لله الحجة البالغة) فيجب علينا : التسليم المحض بقدرة الله وفعله•••

العلاقة بين المسئولية والاسناد لله تعالى :

وإذا كان الفعل الاختيارى الانسانى : ينسب لله تعالى كله•• وإذا كانت (المسئولية) تمثل ركيزة هامة فى الفعل الانسانى إذ هى محور : الثواب والعقاب • وبالتالى : الجنة والنار••

فكيف يمكن إيجاد التوافق بين فكرتى :

أ- المسئولية والجزاء•

ب - إسناد الفعل الانسانى الاختيارى لله وحده•

وقد حاولت المذاهب الاسلامية أن تحل هذه المشكلة • وترفع ماقد يتصور أنه : (تناقض) فجانب : فكرة التسليم المحض - الذى نبهنا إليها آنفاً - كحلٍّ طُرِح فى الفكر الاسلامى • وأدى دوره العقائدى - ومازال - عند المسلمين•

وجدنا أن العقل الاسلامى • فى مناخ حرية الفكر التى كفلها الاسلام لأبنائه • يحاول هذا العقل أن يجد (حلا) لما تصوره أنه مشكلة• ، خاصة: وأنه قد (تمثل) بيقين واضح :(عدل الله تعالى) وأنه سبحانه ليس (بظلام للعبيد)•

ومن هذا المنطلق وجدنا جهودا عقلية وفكرية تحاول أن (توفق)
بين هذه العلاقات بما يكفل سلامه البنيان العقائدي ٠٠ والذي هو
(محروس) في النهاية بالتفويض والتسليم ٠ البادي في قوله تعالى :
(لايسأل عما يفعل وهم يسألون)٠

وقد عبر عن(الحل) التوفيقي الذي ارتضاه (العقل) الوسطي
الاسلامي والممثل في مذهب (اهل السنة) بفكرة ولدت في المحيط
الاسلامي ٠ هي فكرة :(الكسب) ٠

الكسبُ وعلاقته بالفعل الاختياري :

علمنا أن فعل العبد الاختياري يجب أن يسند إلى الله تعالى حتى
يقع في ملكه مايقدره ويريده وحده٠

وبجانب هذا : علمنا مسئولية الانسان نفسه عن هذا الفعل وأنه
(محاسب) عن هذه (الأفعال) : ثوابا او عقابا فماهو المدخل لمحاسبته
على فعل هو : لله تعالى ٠٠؟ وبعبارة أخرى : ماهي علاقة الانسان
بفعله الاختياري ٠٠؟٠٠ ومامدى هذه العلاقة ٠٠؟٠٠

ونود الإشارة إلى أن هذه العلاقة قد عرفت باسم(الكَسْب) وقبل
عرضها نرى أن نعرض المذاهب ٠ في بيان الصلة بين الإنسان وفعله٠٠

المذاهب في علاقة الانسان بفعله :

نبادر هنا فنذكر أن هذه المسأله لها **أكثر من إسم في الفكر الاسلامي.**
مثل اسم : مشكلة الجبر والاختيار) واسم : مشكلة (التسيير والتخيير)

وتسمى في الفكر الاسلامي المعاصر باسم (مشكلة الحرية) ومشكلة: (التكليف)(١)

أولا : مذهب الجبرية :

ذهب قوم على رأسهم (جهم بن صفوان) وطائفة من الخوارج (الأزارقة) إلى أن الانسان : مجبور في جميع أفعاله • فلايوجد لديه مايمكن أن نطلق عليه تعبير :(الفعل الاختياري)•

إذ الانسان كالريشة في مهب الرياح • والخشبة العائمة وسط الأمواج الملاطمة • فلاقدرة له• ولاحرية في الفعل • ولااستقلال في الإرادة•

وكل الأفعال عندئذ : مخلوقة لله تعالى وحده والانسان تجاهها (مُسيَّر) بلا تخيير • وإسناد الفعل إلى الانسان - عندهم - من قبيل (المجاز) •

وهذا المذهب الجبري: يجعل من الانسان شيئا لاحقا بالجماد •

ثانيا : مذهب الاعتزال :

ذهب الاعتزال إلى :أن أفعال العباد مخلوقة لهم فالانسان هو الذي

(١) ونؤكد هنا أن مشكلة (الجبر والاختيار) مشكلة إنسانية قديمة وجدت في كل العقائد الدينية • والفلسفات اللاهوتية قبل وجود الاسلام بعدة قرون - وهذه المشكلة أفسدت الفكر اليهودي• والعقيدة المسيحية • ونعتبرها من القضايا التي نقلت عن(عمرٍ) وقصدٍ إلى المحيط الاسلامي • لتُحدِث في العقيدة الاسلامية ماأحدثته لديهم•

وهذا يفسر لنا :لِمَ كانت غير موجودة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولمَ وُجدت بعد ذلك••؟••

خلق فعله الاختيارى • وهذه الأفعال للعبد تقع وتوجد (بقدرة) العبد وحده • وهذا الإيجاد يحصل على سبيل (الاستقلال) من العبد وهو (حر) غير مضطر • أى بلا إيجاب عليه من قدرة اخرى•

واستدلوا على ذلك : بأنه لو لم تكن أفعال العباد الاختيارية من فعله حقيقة • بل كانت - حقيقة - من الله تعالى وحده • لما كان هناك داعى للتكليف • ولاثمة حاجة إلى الثواب والعقاب•

وبجانب ذلك تذكر المعتزلة أن الانسان نفسه يستطيع التفرقة بين مافى (قدرته) وبين (ماليس فى قدرته)•

وهذا - عندهم - هو قمة (العدل الآلهى) ونحن هنا بدورنا نسأل المعتزلة :-

هل من العدل الالهي: أن نعزل (الآله) عن مخلوقاته وأن نجعل الانسان - بالإطلاق - لاعلاقة له بالله سبحانه وتعالى ••؟•• لاتظن أن للعدل جهة واحدة••؟ ••

ثالثا : مذهب أهل السنة :

لست أدرى ما الذى جعل التراث الاسلامى : عندما يذكر تعبير مذهب (أهل السنة) ينصرف إلى : بدء المذهب الذى جلّاه : أبو الحسن الأشعرى ت(٣٣١) هـ والماتريدى(٣٣٣هـ) وشاع فى الاستعمال : مذهب الأشاعرة ومذهب الماتريدية •

أقول لاندرى ما الذى جعل العلماء يبدأون من بداية القرن الرابع الهجرى • مع أنه يوجد فى التراث الاسلامى من عبّر عن مذهب (أهل

= وعليه : فتلك المشكلة • لم تنبت حول العقيدة أوحتى من أجلها •

السنة) فى بداية القرن الثانى الهجرى · وهو (أبو حنيفة) رحمه الله تعالى· وقد وضح مذهب أهل السنة فى كتبه الكلامية · والموجودة حتى الآن ·· ولذلك نحن نهيب بمن يتصدر لاستظهار مذهب (أهل السنة) أن يجعل (البداية) من (الفقه الاكبر) أو (العالم والمتعلم) · وهما لأبى حنيفة ·· وعلى ذلك يكون لأهل السنة ثلاثة اتجاهات فى(أفعال العباد)·

١-إتجاه أبى حنيفة :

وجد أبو حنيفة فى عصره مذهب(الجبر) عند الجبرية · ومذهب (الاختيار) عند الاعتزال فعارض هذين المذهبين :

أ- معارضة للجبرية :

يقول أبو حنيفة معارضا فكرة الجبر (ولم يجبر أحدا من خلقه على الكفر ولاعلى الإيمان ولاخلَقهم مؤمناً ولاكافراً · ولكن خلَقهم أشخاصا · والإيمان والكفر فعل العباد)[(١)].

ب- معارضته مذهب الاختيار الاعتزالى :

عارض أبو حنيفة هذا المذهب لقوله بالحرية المطلقة للانسان فقال :(نُقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق لله تعالى فلما كان الفاعل مخلوقا فأفعاله أوْلى أن تكون مخلوقه·[(٢)]

---

(١) راجع ص ٢٠ من ك (الفقه الأكبر) طبعة الهند .
(٢) راجع ص١٥ من ك (الجوهرة المنيفة) ملاّ حسين اسكندر · طبعة الهند ·

وراجع ص١٧٧ من ك (الطبقات السنية) لتقى الدين الدارى·

هل تناقض ابو حنيفة :؟

رأينا كيف عارض أبو حنيفة : المذهبين • وكيف وجدنا عند أبي حنيفة من النصوص مايؤيد الجبر فى (صورة رفض الاعتزال) ومايؤيد الاعتزال (فى صورة رفض الجبر) • فهل تناقض أبو حنيفة مع نفسه••؟••

إننا نقرر : أن أبا حنيفة لم يتناقض فى هذه المشكلة •• فهو لم يكن يقصد إظهار الحق أو الباطل فى أى المذهبين •• وإنما كان يهدف إلى(حلّ) هذه المشكلة• والحل عنده يسكن فى صورة منع (الإطلاق) فى المذهبين فدعامة المذهب الحنفى تقوم على فكرة : أن مذهب(الجبر) فيه الخطأ والصواب •• وأن مذهب (الحرية) فيه الخطأ والصواب •• ولو أنهما (تقاربا) لتداركا••

وهذا الذى يُظَن : تناقضا من أبى حنيفة نراه نحن : إنصافاً للجانب الواضح عند المذهبين من أبى حنيفة عندما يقرر : أن كِلَا المذهبين ليس باطلاً بالإطلاق ••• بل إنه يفتح صدره لمن أفرط ومنْ فرّط فيقول : (إن الناظر فى القدر كالناظر فى شعاع الشمس •• كلما ازداد نظراً ازداد حيرة)•

تقرير المذهب :

طالعنا أبو حنيفة بمذهبه فى تلك المشكلة والتى يدور على ثلاث نقاط :-

١) لاجبر بإطلاق. **٢) لااختيار بإطلاق.**

٣) وجود علاقة (ما) بين القدرة القديمة · والقدرة الحادثة·

وهذه (العلاقة) هي(محور) مذهب أبي حنيفة في هذه المشكلة·

وينبغي أن نعلم للإنصاف · وإيضاح فضل السابقين : أن أبا حنيفة هو (أول) من قال بهذه العلاقة في المحيط الاسلامي ·**ووجدت هذه الفكرة عند (الطحاوي) في العقيدة الطحاوية ·**

معنى هذه للعلاقة :

يقول أبو حنيفة مقرراً هذه (العلاقة) في كتابه(الفقه الاكبر) :

(وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة· والله تعالى خالقها · وهي كلها بمشيئة وعلمه وقدرته وقضائه وقدره)·

وهذه أول مرة تطالعنا فكرة (الكسب) وفي(الفقه الاكبر) والذي يشرحه لنا شارح كتاب (الفقه الاكبر) فيقول : (والكسب في اللغة طلب الرزق · وفي**الاصطلاح : تعلق** إرادة العبد وقدرته بفعله · فحركته باعتبار نسبتها إلى قدرته وإرادته تسمى (مكسوبا) وباعتبار نسبتها إلى قدرة الله تعالى وإرادته تسمى (مخلوقا) وكذا سكونه · فحركته وسكونه : خلق للرب · ووصف العبد وكسب له · وقدرة العبد وإرادته: خلق للرب · ووصف للعبد · وليس يكسب له)(١)

وهكذا نجد أن فكرة (الكسب) حنفية البدء والوجود في مذهب (أهل السنة)·

---

(١) راجع ص٢١ من ك (الفقه الاكبر) لأبي حنيفة طبعة الهند .

ولذلك ندهش ممن يغفل هذه الفكرة عند أبى حنيفة .[1]

أبو حنيفة يُناظر :

علمنا أن أبا حنيفة لم يقل بالجبر بإطلاق . ولم يقل بالاختيار .

بإطلاق . وإنما نبه إلى(علاقة الكسب).

ولندع أبا حنيفة يشرح لنا جوهر مذهبه . فيقول مناظراً (هل يسع

أحد من المخلوقين : أن يجرى فى ملك الله مالم يقض ..؟.

فقال مناظره :لا.. قال أبو حنيفة : إن القضاء على وجهين : - الأول

منه أمر . والآخر : قدرة. فأما القدرة فإنه لايقضى عليهم. ويقدر

لهم الكفر . ولم يأمر به . بل نهى عنه. والأمر : أمران:أمر الكينونة

إذا أمر شيئا كان. وهو على غير أمر الوحى).

وهكذا فَصّل أبو حنيفة بين معنى : القضاء . ومعنى : القدر .

فى (أول) محاولة عقلية لتقييم محكم فى هذه المشكلة.[2]

(١) الأستاذ محمد زاهد الكوثرى . يرى : أنْ لاجبر عند أبى حنيفة .
وفى المقابل يرى الدكتور يحيى هاشم : أنْ لااختيار عند أبى حنيفة .
ويكادُ يمنعنا دواعى الاحترام لهما أن نقول: إنهما لم يفهما
بُنيان المذهب الحنفى . فمن أراد لمس المذهب فليعتبر فكرة
(الاطلاق) فيحل بهذا الاعتبار : فكرة التناقض.
راجع ص٤٣ من ك (العالم والمتعلم) تحقيق الكوثرى. و(ص٢٤٤)من ك
(نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية) للدكتور يحيى هاشم.

(٢) راجع ص١٩٩ من ك (أبو حنيفة) للشيخ محمد أبو زهرة

أبو حنيفة وسَعة الأفق :

بالرغم من أن أبا حنيفة قد تقدم بحل لهذه المشكلة ممثلا فى فكرة (الكسب) والذى صار ركيزة فى مدرسة أهل السنة وخاصة (الأشاعرة والماتريدية) من بعده.. فإنه لم يتعصب لما قدّم من حلّ .. بل يحتوى المشكلة كلها بسعة أفقه ويحنو على وجهات النظر الأخرى وإن تباعدت أو تباينت . فتسمعه يقول :

(هذه مسألة قد استصعبت على الناس . فأنّى يطيقونها . هذه مسألة مقفلة قد ضلّ مفتاحها . فإن وُجد مفتاحها علم مافيها . ولم يُفتح الا بمخبر من الله تعالى . يأتى لما عنده . ويأتى ببينة وبرهان)(١) .

هذه هى الصورة الأولى التى تطالعنا فى مذهب (أهل السنة) .

٢ ـ الاتجاه الأشعرى :

توسط الأشعرى بين الجبر والاختيار . فقال بفكرة (الكسب) حتى لاينخلع عن فكرة (التكليف)..

فما معنى الكسب عند الأشاعرة ؟..

أ ـ بعض الأشاعرة . توقف عن تفسير معناه وقال : إنه يأخذ حكم (التشابه) الذى نؤمن به ولاندرك معناه .

وهذا تفسير خاطىء لمعنى (المتشابه) لأنه صار مصطلحاً على:

---

(١) راجع ص١٩٨ من المرجع السابق .

(النصوص) التى تأتى من الوحى بدليل قوله تعالى (وأخر متشابهات) .

وليس على (مصطلحات) من وضع الانسان ٠٠ ولاشك أن كلمة (الكسب) من وضع العلماء ٠٠

ب - ويفسر بعض الأشاعرة الكسب على أنه : مايقع به المقدور ٠ مع عدم صحة انفراد القادر به أو مايقع به المقدور فى محل قدرته - والمراد بالمقدور : الشيء الذىوقع فى نطاق تأثير القدرة٠

وهذا المعنى يخالف معنى الخلق : لصحة انفراد القادر بالخلق٠

ج - وقد فسر بعض آخر من الأشاعرة (الكسب) بأنه : اقتران قدرة العبد بفعل الله تعالى ٠ ويعنون بذلك : أن الله يخلق قدرة على الفعل فى العبد عندما يريد أن يفعل فى نفس اللحظة وفى هذه اللحظة يكون للعبد : الكسب فى الفعل ٠٠ فقدرة العبد تتعلق بالفعل كسبا وقدرة الله تتعلق بالفعل : خلقا وايجاداً ٠

د - تفسير الأشعرى للكسب : وضحه صاحب المواقف - وهو أشعرى - فقال :

(٠٠ فعل العبد مخلوق لله تعالى إبداعا وإحداثا ومكسوباً للعبد والمراد بكسبه إياه : مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير : أو مدخل فى وجوده سوى كونه محلا له ٠ وهذا مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى) (١) .

---

(١) راجع ص ٢٣٧ من ك (شرح المواقف)٠

وهكذا يقدم لنا مذهب الاشعرى فى مشكلة (أفعال العباد) مؤسسة على فكرة (الكسب) • والتى استقرت الاشاعرة فى معناها على انها : الاقتران العادى بين قدرة العبد والفعل وهذا (الاقتران) هو (الكسب) والكسب على هذا يكون هو : الشعور بالاختيار •

الكسب الأشعرى هو كسب أبى حنيفة :

رأينا كيف صرح أبو حنيفة بفكرة الكسب فى مواجهة الجبر والاعتزال وظل هذا التصريح الحنفى يواجه هذه المذاهب قرابة (القرنين من الزمان)•

ومن المعلوم أن(الأشعرى) كان معتزليا .وأعلن خروجه من الاعتزال وهو فى سن الأربعين•

ومما لاشك فيه أن مذهب الكسب الحنفى • قد عرفته المعتزلة وعرفه الأشعرى • فترة اعتزاليته•

والطريف : أن أبا حنيفة عبّر عن هذه الفكرة بالكسب وجاء بعده الاشعرى فعبّر عن نفس الفكرة بنفس المادة(ك ـ س ـ ب) فظهر اتفاق الأشعرى وأبى حنيفة فى المبنى والمعنى•

ولسنا بحاجة لأن نذكر : أيهما تأثر بالآخر وأيهما مبتكر . وأيهما صاحب نظرية الكسب فى مشكلة (أفعال العباد)••؟ ••

وإنما يكفى أن نذكر مَن السابق •• ومَنْ اللاحق ••؟••

ولسنا نغض من قيمة(الأشعرى) عند نسحب منه(درة) مذهبه ـ الكسب ـ ونذكر أنها وردت فى(الفقه الأكبر) قبل أن يولد الأشعرى

بعشرات السنين ٠٠٠

وهذا الاتجاه الأشعرى : لم يَرُقْ لمتأخرى الأشاعرة ٠ فإنه يجعل العبد :(مجبوراً فى صورة مختار) على حد قول (البيجورى)٠

٣ـ الاتجاه الماتريدى :

الماتريدية هى المدرسة الكلامية التى حافظت على المذهب الكلامى لأبى حنيفة ـ وعبرت عنه بقوة ووضوح وشرحته وفصلته وبثته فى الأمصار عبْر عصور التاريخ المتباعدة بل : ويرجع إليها الفضل فى المحافظة على تراث أبى حنيفة فى (علم التوحيد)٠

ومن هنا لانجد كبير فرق بين الاتجاه الماتريدى وبين الاتجاه الخاص بأبى حنيفة ٠ اللهم إلا فى مضمار الشرح والإيضاح٠

وتوضح الماتريدية فكرة العلاقة بين : القدرة الحادثة والقدرة القديمة ٠ فتقرر :

أن الانسان عندما يحس برغبته فى أن يفعل شيئا (ما) فإنه يعقب هذه الرغبة (تصميم) وعزم وإرادة على (تنجيز) هذا الفعل ٠ ويترتب على هذه (الإرادة) الانسانية ٠ وقوع الفعل فى الواقع وعلى ذلك : فالعزم والإرادة من : الانسان ٠ وماعدا ذلك فهو من الله تعالى ٠

وهذا العزم أو التصميم أو الإرادة ٠ هو الذى يمثل العلاقة بين القدرتين ٠ فهو بذلك : يمثل فكرة (الكسب) فى المفهوم الماتريدى ٠

ونلاحظ هنا أن الانسان : يوجد هذه الإرادة وهذا العزم ٠ وهـ

عبارة عن : النية والقصد ٠ وفى العقيدة الاسلامية (النية) تنـــــزل منزلة (العمل)٠ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إنما الأعمال بالنيـــات٠ وإنما لكل امرىء مانـوى٠٠) ٠

وهكذا نجد أن الاتجاه الماتريدى : قدم فكرة الكسب بطريقة تبدو (عقلانية) اكثر من دلالتها على المذهب الحنفى الذى توسط وتواضـــع وهو يقدم (حل المشكلة)٠

إعتراض على فكرة الكسب :

إعترُض على (الكسب) بأنه قد قام الدليل على استحالة أن يقــــع المقدور الواحد (الشىء) تحت تأثير قدرتين فى وقت واحد ٠ وإثبـــات فكرة الكسب ٠ تثبت هذا المعنى المستحيل ٠٠ حيث تجعل(الفعـــل) واقعا بين القدرة القديمة والقدرة الحادثة فى وقت واحد ٠٠

الجواب :

إن المقدور الواحد يمكن أن يدخل تحت قدرتين بشرط أن تكون : (الجهة منفكة) على معنى : أن تدخل تحت قدرة الله تعالى بجهـــة (الخلق) وتدخل تحت قدرة العبد بجهة(الكسب)٠

المذهب المختار عند متأخرى أهل السنة (الأشاعرة):-

ونستطيع من خلال هذا العرض السريع للمذاهب والاتجاهات التى لاحظناها فى مشكلة (أفعال العباد) أن نخلص إلى الرأى الذى اختاره وارتضاه علماؤنا فى علم التوحيد • بعدما استقرت المذاهب وهدأت فتن التلاحى وسكنت التيارات العقائدية •• وقد ارتضينا أن : الانسان ليس (مجبوراً) فى فعله • بإطلاق كما أنه ليس (مختارا) فى فعله بإطلاق•• فالله خلق (القدرة) • والعبد خلق(الفعل) بقدرة الله تعالى التى أوجدها فيه• يقول الله تعالى : (**وماتشاؤن إلا أن يشاء الله**)• فمع كون الله تعالى - هنا - قد أثبت مشيئةً للانسان : فإنه قد أخبر أن هذه (المشيئة) لاتكون إلا بمشيئة الله تعالى •

تقييـــــم :

ذكر ابن تيمية : أن هذا الرأى الذى قوامه : (فليس مجبـــورا ولااختيارا). هو : مذهب أهل السنة جمعاء . ومذهب بعض أئمـــة الأشاعرة مثل : الإسفرايينى وإمام الحرمين وغيرهمـا .

إنصــــاف :

نستطيع الآن بعد أن بلغ الهدى محلّه أن نلفت النظر إلى (مذهـــب أبى حنيفة) فى مشكلة (أفعال العباد).. لنتمكن من مقارنته بهـــذا المذهب الذى صار معبراً عن (ضمير) الأمة الاسلامية وتلقته بالقبـــول كل اتجاهات مذهب (أهل السنة) حتى ندرك بوضوح :كيف يتطابـــق مذهب متأخرى أهل السنة . مع مذهب أبى حنيفة فى مشكلة (أفعـــال العباد).

ولانقصد من وراء هذا كله : أن تزيد (أبا حنيفة) فضلا على فضـــله وإن كان أهلاً لذلك.

وإنما نقصد أن ننبه الدراسين .. كيف أتعب الباحثون أنفسهـــم عندما تجاهلوا (مذهبا) موجودا بالفعل . وحاولوا تلمس غيــــره .. فتخبطوا يمنة ويسرة .. حتى صاروا إلى نفس النقطة التى بدأوا منها ..

فقد صار (الحل) الحنفى .. هو (الحل) الذى ارتضاه الفكر الاسلامى وتلقاه صدور المسلمين بالرضى والقبول .

نسأل الله التوفيق والهداية • والنجاة من التردى فى خطـــأ لايُدْرَك • وغفــوة لايُنتبــه إليها •• وأن يغفر لكل من اجتهد فأصــاب ولكل من اجتهد فاخطأ •

وعسى الله ان يأتى بالفتح أو أمر من عنـــده •

هذا، وبالله التوفيـــق ،

دكتـــــور

مصطفـــــى غلــــــوش

الأستاذ المساعد بقسم العقيـدة

والفلسفة بكلية أصول الديــــــن،

القاهـــــرة •

" ثبت بأهم المراجع الواردة في البحث "

***

مسلسل	الكتاب	المؤلف
١	القرآن الكريم	
٢	السنة النبوية	
٣	إبن قتيبة	دكتور :عبد الحميد الجندي .
٤	أبو حنيفة	الشيخ / محمد أبو زهرة .
٥	إشارات المرام في عبارات الإمام	الإمام / البياضي .
٦	الإلهيات في الموقف الخامس:	تحقيق الدكتور أحمد المهدي.
٧	التجسيم عند المسلمين ..	دكتورة / سهير مختار .
٨	تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية	الشيخ مصطفى عبد الرازق .
٩	رسالة التوحيد	الشيخ محمد عبده .
١٠	شرح الأمير على الجوهرة ..	الشيخ إبراهيم البيجوري .
١١	شرح المواقف ...	الشريف الجرجاني .
١٢	الشيخ محمد عبده بين: الفلاسفه والكلاميين	دكتور : سليمان دنيا .
١٣	ضحى الإسلام ...	دكتور: أحمد أمين .

مسلسل	الكتاب	المؤلف
١٤	ظهر الإسلام	.. دكتور / أحمد أمين .
١٥	العالم والمتعلم	.. أبو حنيفة "النعمان بن ثابت" .
١٦	العقائد النسفية	.. النسفى .
١٧	العقائد العضدية	.. عضد الدين الإيجى .
١٨	فجر الإسلام	.. دكتور / أحمد أمين .
١٩	ألفرق بين الفرق	.. عبد القاهر البغدادى .
٢٠	الفقه الأكبر	.. أبو حنيفة .
٢١	المأمون	.. دكتور : محمد مصطفى هدارة .
٢٢	المدرسة السلفية	.. دكتور / محمد عبد الستار نصار .
٢٣	مذكرة التوحيد	.. الشيخ : محمود أبو دقيقه
٢٤	المعتزلة	.. زهرى جار الله .
٢٥	المقاصد	.. سعد الدين التفتازانى .
٢٦	مقدمة ابن خلدون	.. عبد الرحمن بن خلدون .
٢٧	الملل والنحل	.. الشهرستانى .
٢٨	مناهج الأدلة	.. لابن رشد : تحقيق دكتور : محمود قاسم .
٢٩	المنقذ من الضلال	.. الغزالى / دعبد الحليم محمود .

مسلسل	الكتاب	المؤلف
٣٠	المُنية والأمل	لابن المرتضى
٣١	المواقف	عضُد الدين الإيجى .
٣٢	نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية	دكتور يحيى هاشم فرغلى
٣٣	نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام	دكتور / على سامى النشار

****
***
*

((ثبـــت الموضـــوعـــات))

الموضـــوع	الصفحة
المقدمه	٣
مدخل لدراسة علم التوحيد	٦
العلاقة بين التوحيد وعلم التوحيد	٨
معنى : علم التوحيـــــد	١٣
موقف العلماء من تطور علم التوحيد	٣٠
أول المؤلفات الكلاميـــة	٣٧
الاستدلال	٣٩
مصطلحات كلاميـــة	٥٥
المطالب السبعـــة	٥٨
المتقابلات الســـت................................	
كيف يستدل على وجود الله بالعقل وحدة..........................	٥٩
بحوث عقائدية..	٨
بحث " قدم الاسماء والصفات"	٨٢
النصوص الموهمه للتشبيـه	٩٠
بحث " مشكلة الصفـــات "............................	٩١
بحث " القرآن كلام الله تعالى "	١٢٢
بحث (أفعال العبـــاد)............................	١٣٧
ثبت بأهم المراجـــع..................................	١٦٥
ثبت الموضـوعـــات..................................	١٦٨

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٩٠ / ٢٠٥٢